

زكي قنصل

خماسيات من المهجر

أشواك

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

السلسلة الشعرية

(٩)

أشواك

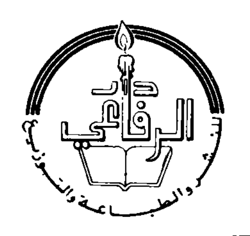


زكي قنصل



الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م





ص.ب : ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس : ٤٠١٣٦٧ (الفرات) ـ فاكسميلي : ٤٧٩٤٣٢١
المملكة العربية السعودية


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الشاعر :

ZAKI KONSOL
San Juan 2615
(1232) Buenos Aires
Argentina

إلى صاحب أشواك

باريس ١٩٧٢ - جورج صيدح

ياجامعَ الشوك من شتى منابته
وحامل الحكمة الغرّاء للناسِ
أقسمتُ لم أرَ قبل اليومِ عوسجةً
يفوح منها عبيرُ الورد والآسِ
آياتُ شعرك من وحي الملائك ، لا
من وحي جنّيةٍ أو همس خنّاس
بعثتَ روح " زهيرٍ " في مواعظه
وجئتَ من حكمة "الأعمى" بأقباس
لولا الحياء ولولا الكبر يمنعني
ضفرت شوكك إكليلا على رأسي

إلــى صيــدح

طوّقتَ يا شـاعـري جـيـدي بمكرمـةٍ

أحلى من الزهر، بل أغـلى مـن الماس

يا أكــرمِ الناس لولا أن يُقــال كـبـا

لقلتُ تقــبــرني يا أكــذب الناسِ

عطّرت بالعطف "أشواكي" فلاانفتحتْ

عـيناك يومًا على ضـعـفي وإفـلاسي

أعـليتَ رأسي، ولـكـني أخـــاف إذا

غاليتَ في المدح أن أهوي على رأسي

مــا دمتَ تملأ كـأسي كلمــا فــرغتْ

يا ساكب الراح لا تشفقْ على الحاسي

زكي ــ بوينس ايرس ١٩٧٢



(١)

هذي أغـانيّ التي اسـتـوحـيـتُهـا
من مـقلتـيك كـتـبـتُهـا بجـروحي
شمخت صروحي في البيان على السهى
لولا عـيـونك مـا بنيتُ صـروحي
فـي كـل بيتٍ دمـعـةٌ أو زفـرةٌ
تـغنـي المنقّبَ عـن طـويـل شـروحِ
قـرّحت أجـفـاني... ألا سلمتْ يدٌ
تُذكِي جـروحيِ أو تـثـيـر قـروحيِ
لـم أهـدِ ديـوانـي إلـيـك ، وإنمـا
أهدي إلى روحي عـصـارةَ روحي

(٢)

هلاّ وصفتَ الكونَ؟ قلتُ : قصيدةٌ

والناسَ؟ قلتُ : وكلُ حيٍ قافيهْ

نشكو الحياة ولا نُطيق فراقَها

ونسبُّها ونحبّها في ثانيهْ

ما أضيقَ الدنيا على متشائمٍ

برمٍ يقابلها بنفسٍ داجيهْ

الزهرُ أجملُه النديّ المزدهي

والطير أحلاها النواغي الشاديهْ

فانظرْ إلى الدنيا بوجهٍ مشرقٍ

كي لا تكون من القوافي النابيهْ

(٣)

مــاذا أقــول لصــاحب يغــتــابني

ويحــيطني فــي مــحــضـري بالـغــار

هو فـي كــلا حــاليــه كــذّابٌ فــلا

يطمعْ بغــيــشي أو يخفْ من ناري

لا لن أصــدق من يهــزّ حــمــيّتي

ليــسبّ خــصمي أو ليشــتمَ جاري

أنا مثل كل الناس من صدفٍ ومن

درٍّ، ومـن حــــمــــأٍ ومـن أنـوار

تبــدو من الشــيطان فيّ مــلامحٌ

ويلوح ظلٌّ من جــمــال البــاري

(٤)

يا مَنْ يبــذّر في الملاهي مــاله

فــرحًا، ويقــبضُ كـفَّهُ عن جــائعِ

احـسبْ حـسـابك للزمـان، فــربما

دارت حـــوادثُه بأشــــأمِ طالعِ

يـومــان هذا الدهر، يـوم ضــاحكٌ

بالســعـد، مــرتبطٌ بيــومٍ دامعِ

لا يـخـــدعنَّك أنَّ مـــالكَ واسعٌ

كم هـانَ قــــبلك ذو ثراءٍ واسعِ

ولقـــد تمدّ غــداً يمينك راجــيًا

إحـــسانَ هذا الجـائعِ المتــواضعِ

(٥)

كـثُرتْ مـآدبنا وقلَّ حـيـاؤنا

يا ربِّ سـدِّدْ في الحـيـاة خُطانا

في كل يومٍ للسـخـافـة حـفلةٌ

نجـتـرّ فـيـهـا الهـذرَ والهـذيانا

يرتادُ آفـاقَ العظائم غـيـرُنا

ونحـوم نحن على الهُوى غـربانا

لم تبـرحِ الأوثانُ ملء عـقـولنا

فـمـتـى نحطّم هذه الأوثانا ؟

حـريةُ الأعـناق وهْمٌ إن نكـنْ

بنفـوسنا وعـقـولنا عـبـدانا

(٦)

ابحثْ تجِدْه خلف كل جنازةٍ

يبكي الفقيد بدمعهِ وبيانِهِ

حتى إذا أدّى مهمته طوى

أشجانه ، وسعى إلى ندمانِهِ

يا أيها الباكي بغير توجعٍ

دمع الكذوب يجفّ في أجفانهِ

ما أرخص الأدبَ الذي لا يستحي

إن الأديب بقلبه ولسانهِ

لولا امتناعُ الدّر لم يعلقْ به

نظرُ الوجود ولا عيونُ حسانِهِ

(٧)

نشّىء بنيك على الفضيلة والتقى

لكن حذارِ من الجمود حذارِ

العصرُ عصرهُمُ فلا تُرهقْهُمُ

بسلاسلٍ من عصرك المنهارِ

ارشدْهمُ باللطف تكسبْ حبّهمْ

وازجرْ، ولكن من وراء ستارِ

حررتَ نفسك من أبيك فهل ترى

حرجًا إذا نَهَجوا على الآثارِ؟

أشقى الجناة أبٌ يغلّ بجهله

في وُلْده حريةَ الأفكارِ

(٨)

مـا هذه الفـوضى يثـيـر غـبـارها

هذيانُ مـعـتـوهٍ ودعـوى جـاهلِ

ضاعت مقاييسُ الفضيلة والندى

واحـتلَّ صـدرَ الدارِ رسمُ البـاطلِ

أوَ كلمـا عـصفَ الغـرورُ بـخـاملٍ

حـامَ الذبابُ على طعـامِ الخـاملِ

يا عـابدي الأصنامِ هل من هدنة

طفح الإناء وعـيل صـبـر العـاقلِ

لا خـيـرَ في وطنيـةٍ مـخـضـوبةٍ

بـدمـاء مـسكينٍ ومـدمع ثاكلِ

(٩)

لا تغـضبنَّ على صـديقكَ إن هفـا

فلقـــد تقـــوِّمـــه الأناةُ وتُرشِدُ

إن العـتـاب يُزيل أسـبـاب الجفـا

لكن إذا لبس الخـشـونة يفـسـدُ

كم صـاحبٍ عـاملتُه بصـرامـةٍ

فـخلقتُ منه كـاسـحًا يتـوعـدُ

هيهات يسلم من أذى الناس امرؤ

حسبَ الصراحـةَ سلعـةً لا تكسدُ

فالجمْ ضميرك أو فعشْ في معزلٍ

يقصـيـه عن دنيـاك بابٌ مـوصدُ

(١٠)

عبثًا تبشرُ بالفضيلة والتقى

إن لم تكنْ في ذات نفسك فاضلا

خيرٌ من الوعظ الذي لا ينتهي

عملٌ يدلّ على تقاك السائلا

هيهات تقنعني بأنك حاتمٌ

ما دمتَ تنهرُ كل يومٍ سائلا

جاء المسيحُ فما اكتفى بلسانه

بل شقّ بالمثل الطريق الفاصلا

لو لم يجسّدْ بالفعال عظاتِهِ

كانت رسالته كلامًا باطلا

(١١)

هلاّ سكتَّ عن البخيل فليسَ في

وسع الثمالة أن تفيض غديرا

سيّانِ في نظر الحياة مقتّرٌ

ومبذّرٌ يهبُ الألوفَ قريرا

كلٌ يؤدّي في الوجود رسالةً

وإنِ اختلفا منهجًا ومصيرا

يمشي الفقيرُ إلى الغنيّ بحاجةٍ

ولربما احتاج الغنيُّ فقيرا

إني لأقرأ في الشتاء قصيدةَ

غضبى يفسّرها الربيعُ عبيرا

(١٢)

يا بائعي مــهــد المســيح وهَدْيه

بحــثــالةٍ من فــضــةٍ ونضــارِ

ساءتْ مساعيكم وخابَ رجاؤهم

فـــالدار ســـاهرةٌ وربُ الدارِ

قـــد تأكل الأقــدارُ من آمــالنا

لكننا سنثـــورُ بالأقـــدارِ

حــرمُ النبــوّةِ لا يبــاح لطغــمــةٍ

وسمَ الكتــابُ جـبــينَهــا بالعــارِ

تأبى علينا همّةٌ عـــربيـــةٌ

أن نفـــتحَ الفــردوسَ للفــجّارِ

(١٣)

بين التـعـصّب والتـديّن فـجـوةٌ

لا تنتـــهي ، وحــواجــزٌ لا تُغلبُ

هذا هو الغــيث الذي يُحــيي ولا

يؤذي ، وذاك هو السـحـابُ الخلّبُ

الدين نـورٌ والتـــعـــصّب ظلمـــةٌ

أيخـاف نورَ الشــمسِ إلاّ المذنبُ؟

من كـــان يملي بالهـــراوة رأيـه

لم يلق في جلســائه من يكتبُ

يا صاح لا تصلِ الضلالةَ بالهدى

إن التـــقيّ الحقَ لا يتـــعـــصّبُ

(١٤)

قالوا : الجديدُ ، فقلتُ : دعوى مفلس

كــــابٍ يرقّع عــــيّه بشـــــروده

الشــعــر مــا هزّ النفــوس بســحــره

لا فـــــرقَ بين قـــديمه وجــــديده

أوَ كلمــا نشــر الدعيّ سـخـافـةً

هتفَ البغـاثُ لمعجـزاتِ نشـيـده

يا واغلين على القريض ضجيجكم

ملأ الفضـاءَ فأين بيتُ قصيده؟

إن كـان هذا الهـذرُ عدّتكم ، فيـا

خـــجلَ الجــديد ويا هوانَ جنوده

(١٥)

مــا للذيـن أذود عن أعــراضــهم
وأذبّ عـنهم باللســـان وباليـــدِ
يتــــواطؤون عليَّ فـي خلواتـهم
ويعــرّضـون بسـمعـتي وبمحـتـدي
يا مَنْ خُدعتُ بلطفـهم لا تحـذروا
أنا لا أقــابلُ بالعـداء المعـتـدي
قلبي مبـاحٌ للضيـوفِ ومـهـجتي
بشـــاشـــةٌ لمغـــرّدٍ ومــعـــربدِ
أنفقتُ أمسي في الدفاع عن اسمكم
مــاذا عليَّ إذا وهبــتُكُم غــدي؟

(١٦)

قـالوا الـتـجـارةُ لا تليـقُ بشـاعـرٍ

زاهي الأمـــانـي زاهر الآمـــالِ

فـأجبـتُهم لكنـهـا مـا استـبـعـدتْ

فكري ، ولا هاضتْ جناحَ خـيـالي

هيـهـات أطمعُ بالثـراء ، وثروتي

ذكـــرٌ أتيـــهُ به عـلى الأجـيـــالِ

أنا كـالهـزار يعـيش رغـم إسـاره

بين الـربـى والســـهـل والأدغـــالِ

الشـعـرُ يبـرأ والعُلى من شـاعـرٍ

يـطـوي رســـالتـــه لأجل المالِ

(١٧)

مـا هذه الفـوضى تـهـدّ كـيـانـكم

وتعـيثُ في حـرم الجدود فـسـادا

يا قــائـمين على شــؤون بلادكم

ســاءَ الغــرورُ مطيّةً وعــتــادا

أتقاتلون على السفاسف بعضكم

وعـدوكم فـي أرضكم يتـهـادى؟

دجتِ الطريقُ فـــوحّدوا آراءكم

لولا التنابـذ كنتمُ أســيــادا

ردّوا أذى صـهـيـونَ ثم تقـاسـمـوا

هذي الضــحــيّة أمــةً وبلادا

(١٨)

مـا بالُ أصـحـابِ الجـديدِ تهـيّأوا

للحــرب واصطفّوا لهــا أفــواجـا

الأرضُ مـادت تحـتـهـمْ من رهبـةٍ

والجـوّ فــوقــهمُ اكــفــهـرّ ومـاجـا

لبــســوا الرطانة أدرعًا وتزاحـفـوا

للســخف يعــتــمــدونَه منهـاجـا

راجتْ بضاعـتـهم ، ولـكن عند من

يدعــونَ جلجلةَ الطبــول رواجــا

يا أدعـيـاء الشعـر لا تتـبخـتـروا

طار الدجــاجُ ولا يزال دجــاجــا

(١٩)

مـا لـي رأيتك عـابسًا مـتـجـهـمًا

والكـونُ حـولك بـالبـشـاشـة يطفـرُ

فـي الزمـــهـــرير لمن تبـــصّر آيـةٌ

تفسيرها في الصيف حقلٌ مثمرُ

لا ليـست الدنيـا كـمـا صـوّرتَهـا

صـــــلاً يـفـحّ وثـعـلـبًا يـتـنـمّرُ

دنيـــاك لجٌّ قـــد يكون بقـــاعِهِ

صـدفٌ، ولكـن فـيـه أيضًا جـوهرُ

فـعـلام تبـصرُ قـبـحـهـا فـإذا بدا

لك حـسنُهـا أنكرتَ أنك تبـصـرُ؟

(٢٠)

اجهــرْ بحـقك إن تكنْ ذا حـجـةٍ

فـإذا عـيـيتَ فـإنّ صـمـتك أجدرُ

يحلو البنا ءُ بشكله ورياشـــه

لا بالأســاس ، فــإنه لا يظهــرُ

حق الغـــبيّ أعـــزّ منه باطلٌ

يحـمـيــه رأيٌ في ا لشـدائد نيّرُ

والسـيفُ في كفّ الكفـيفِ يغلّه

عــودٌ يجـرّده غــلامٌ مــبـصــرُ

مــاذا يفـيــدكُ أنَّ حــقك ظاهرٌ

وفـضـاك مـحدودٌ وعـقلك أعـورُ؟

(٢١)

مــاذا جنيتُ لأســتــحق عــداءهُ

وينالَ من أدبي ومـن عليـــائي

ألأنني أشـــدو فـــيطربُ ســامعٌ

وأصول ضرغامًا فيعـجبُ رائي؟

يا شـــاتمي مـــا أنت أولَ واهمٍ

إني ســأرفع شــأنه بهـــجـائي

مـا كـان أقـربَ غـايتي لو أنني

قـيّدتُ في أُفق الغـراب رجـائي

لا تتـعبنَّ فـقـد حـبستُ لواذعي

إلاّ عــن الأنـداد والأكـــــفاءِ

(٢٢)

يا مَنْ يمُنّ على الصـــــديق بودّه

إنـي لأشـــعـــر أنّ ودّك كـــاذبُ

لو كنتَ محمود السريرة لم تنلْ

بالغـمز صاحبك الذي هو غـائبُ

حاسبْ ضميرك قبل أن تغتابه

كـم تـابَ زنـديـقٌ وزنـدقَ راهـبُ

بعض الصداقـة للدليل بحاجةٍ

والبـعضُ يـفسـده اللجاجُ الدائبُ

إنـي لأوثر أن تصـارحني العـدا

من أن تمنّ عليّ أنـك صـــاحبُ

(٢٣)

قالوا: تخاف الموت؟ قلتُ :أخافه

مـهـمـا تبـرّمَ بالحـيـاة سـوايا

أوَجدتُ في سوق الفواكه مهجتي

حـتى أجـود بهـا بملء رضـايا ؟

يا مَنْ يرى الدنيـا سـرابًا كـاذبًا

دعْني أبلّ من السـراب صـدايا

متْ أنت إن كان الممـاتُ سـعـادةً

واتركْ عليَّ تعـاسـتي وشـقـايا

مـا دام فيَّ من الشـبـاب بقـيـةٌ

مـاذا علـيَّ إذا أطعتُ هـوايا ؟

(٢٤)

ما في الزعامة إن صفتْ أهدافها

وتنزّهتْ أغـــراضـــهـــا من باسِ

لكن إذا امْسِختْ مطيــةَ أشــعبٍ

فـــثـــمـــارها للقـــاطفين مـــآسِ

يا مَنْ يرشّح للزعـــامـــة نفـــســـه

لا تـركبنَّ مـــــــراكبَ الخنـاسِ

بمكارم الأخـــلاق تبلغُ كل مـــا

ترجـــوه، لا بهـــراوةٍ ومـــداسِ

شـــرٌّ من الفـوضى على عـلاّتهـا

شـرعٌ يقـوم على امـتـهـان الناسِ

(٢٥)

يا ســـاعـــيًا خلف الريال بمقلةٍ

ولْهى وقـلـبٍ جـــائعٍ ظمـــآنِ

المال في نظر الكريم وســـيلةٌ

- لا غـايةٌ - للخيـر والإحسـانِ

كم مـعـدمٍ يُرجى نداه ومـوسـرٍ

تـرتـدُّ عـنه الـعين بـالخـــذلانِ

فـــابسطْ يمينك للمـروءةِ والندى

وأحِطْ غنـاك برقـــيـــةِ الشكرانِ

لا خـــيـــرَ في الدينار يمسخُ ربَّه

ويحطّه عن مـســتـوى الإنســانِ

(٢٦)

مـا حـيلتي بأخٍ أذبُّ عن اسـمـه

فـينالني بالطعن والتـشـهـيـرِ

أخـفي مـسـاوئه فـيـرمـيني بهـا

وأجلّه فـيلجّ في تحـقـيـري

ضـاقتْ به نفسي، فـهل من نجوةٍ

منه، وحـار بأمـره تفكيـري

لا الحلم يلهمه الصـوابَ ، ولا أنا

أحـتـاطُ للتكشيـرِ بالتكشيـرِ

إنْ لذتُ بالحسنى تمادى في الأذى

وإذا غـضـبتُ أبى عليٌّ ضـمـيري

(٢٧)

وطني ، وما وطني سوى أهزوجةٍ

يحدو بها الحادي ويشدو الشادي

أغليتُ إلاّ عند ذكرك مدمعي

وحبستُ إلاّ عن هواك فؤادي

روحي وما ملكتْ يداي بغفوةٍ

شعريّةٍ في ظلٍّ أكرمِ وادِ

ماتت على شفتيّ أنغامُ الصبا

وكبا بمضمار الرجاء جوادي

لم يبقَ من أمسي ومن أحلامه

بالعودْ إلاّ أن تكون وسادي

(٢٨)

حسَنٌ جوابك للسفيهِ تردّه

بالحزم ، لكنّ التغاضي أحسنُ

يتحرّشُ الأدنى بمن هو فوقه

كي يرتقي الأغبى ويهوي الأفطنُ

ما حاجة الذهبِ النقيّ لمعلنٍ

أيضيره ألاّ يجيد المعلنُ ؟

ما دام ذكرك في البرية عنبراً

لا يغضبنّك أنْ يسبّك منتنُ

فلربما قضتِ الشجاعةُ ساعةً

أن يجبنَ البطلُ الذي لا يجبنُ

(٢٩)

يا مَنْ يعـــيبُ عليَّ أني كــافــرٌ
بحــضـــارةٍ وشّى الخـداعُ ثيــابَهـــا
بيني وبينك في الشعـور مـفاوزٌ
غـمـرَ الضـبـابُ وهادَها وهضـابَهـا
إنْ يجْنِ من هذي الحضارة غيـرُنا
شـــهـداً فــإنّا قــد جنينا صــابهــا
ولئن زهتْ بعضُ النحور بتـبـرِها
فلقــــد روينا بالدمـــاءِ ترابهـــا
والحـرّ يعـتـبـر السـجونَ مـقـابراً
دكناءَ مـــهـــمـا زخـرفـوا أبوابهـا

(٣٠)

مــــاذا أقـــول لمن يشـــاهد أهله

في مـــحنةٍ فـــيـــغضّ من نظراتِه

حـتى إذا عــثر الغـريبُ بشــوكـةٍ

فـــاضتْ مـــآقـــيـــه على وجناتِه

يا كـــافـــرين بمهـــدكم ردّوا لـه

هذي المدامعَ فـــهي بعضُ هبـــاته

الـنار تـنـهـــــــشُه وأنـتـم نـومٌ

عـن شـــجـــوه ، لاهون عـن غـــصّاته

هيـهـات يحـتـرم الغـريبُ مـؤاسـيًا

لا يُرتجى لأخـــيـــه في نـكبـــاته

(٣١)

قُل للذين يفاخرون بمالهم
بئس الغنى إن لم تزنْه زكاةُ
لم تضحكوا إلا لأنّ سواكمُ
تكويه في ضرّائه العبراتُ
الله أوصى بالضعيف ولم تزلْ
بحقوقه تتنزّل الآياتُ
فإذا قبضتم كفكمْ عن جائعٍ
عافٍ ، فأنتمْ مجرمون جُناةُ
أمّا الفقير المستمدّ عطاءكم
فدموعه في وجهكم صفعاتُ

(٣٢)

أحسنْ بصاحبك الظنونَ وإن يكنْ

يحـــصي عليك توافـــه الأخطاءِ

وانظرْ إليـه - إذا دعـتـه نفـسـه

للنيْل منك - بمقلةٍ عـــمــيـــاءِ

الحلمُ من نعَمِ السماء... ولا تخفْ

شـــتّان بين مـــســـامحٍ ومـــراءِ

كم ريبـةٍ قطعت عـهـود صـداقـةٍ

ثبـــتتْ على الســـرّاء والضـــرّاءِ

ولكم جـعلتَ بحسن ظنّك صـاحبًا

مَنْ كنتَ تحـــســبــه من الأعـــداءِ

(٣٣)

يا مَنْ يفـاخـرني بـرفـعـةِ أصله

أوليس تجـمـعنا بآدم ساحُ؟

هذي عـصافيـر الرياض تبـاينتْ

شكلا ، ولمّتْ شـملهـا الأدواحُ

كـم ذا تمـنّ علـيّ أنـك مـن أبٍ

تـعـنـو لـه الأعـنـاقُ والأرواحُ

لو كنتَ تعرف محتدي لحسدتني

لكن جـهلتَ ، فـمـا عليك جُناحُ

جدي إذا انبرتِ الفضائلُ عـاملٌ

وأبي إذا افـتـخـر الورى فـلاحُ

(٣٤)

شنَّ الدعيُّ على قريضي غارةً

شعواءَ غذّاها خيالٌ قاصرُ

فمسكتُ عنه عفّةً وكرامةً

أيخاف مثلي هذره ويحاذرُ؟

حوّلتُ عنه ناظري وعذرتُه

لو كان يشفيه سكوتٌ عاذرُ

من لا تحرّكه العواصفُ ما عتتْ

هيهات يقصفه نسيمٌ عابرُ

الحمد لله الكريم فإنني

أيقنتُ بعد الشك أني شاعرُ

(٣٥)

يا ربِّ خلّصْ أمـــتي من زمـــرةٍ

تمتصّ أتعـابَ الفـقـيـر العـاملِ

شادتْ على شرف الأصول زعامةً

جـوفـاءَ تحـمـيـهـا سـيـاطُ البـاطلِ

تلهـو بآمـال الضـعـيف وتدّعي

بـوقــاحـةٍ حبَّ الضــعــيف الآملِ

إن يدعــهــا داعي الرذيلة هرولتْ

وإذا دعــاها المجـدُ فــهي بشــاغلِ

تمشي بفـاجـعـة القـتـيل حزينةً

وبســعـيــهــا ارتفـعتْ يمينُ القــاتلِ

(٣٦)

يا مَنْ يُربّي بالعـــــصـــــا أولاده

ســـاءت عــصـــاك مـــربّيًا ومـؤدبا

يتـــمـــرد السنّورُ إن عـــاملتَه

بشــراسـةٍ ، وتثـيـر فـيـه العـقـربا

البـيتُ مـدرسـةٌ تُحَبُ وتُشـتـهى

مــا كــان راعـيــهـا رضـيًا طيـبـا

فاسهرْ على ابنك واصلاً حسناته

وازجــره بالحـــسنى إذا هو أذنبـــا

مـا دمتَ تضـربه ضـعيفًا قـاصراً

جـــازاك بالأنكى قـــويًا أغلبـــا

(٣٧)

يا حـاملين على القـديم يقـودهم
وهُمُ يمتّ إلى العـمى وغـرورُ
ليس الجـديدُ ركـاكـةً وسـخـافـةً
إنّ الجـديدَ فـصـاحـةٌ وشـعـورُ
طلع الصباحُ على الربى فـهربتمُ
بالله لِمَ لَمْ يهـربِ الشـحـرورُ
لا تحـسبوا التزمير يبني شهـرةً
كم شـهـرةٍ أودى بهـا التـزمـيـرُ
لو خلّدتْ لغـةُ الرطانة خـامـلاً
ما مـات شاعـركم وعـاش « جريرُ »

(٣٨)

مـــالي أجــور على الأنام مــعنّفًا

وأنـا ـ وان بـرّأتُ نفـــــسي ـ منهمُ

إنّا لـيــجــمــعنا لســانٌ واحــدٌ

فـعـلام إن خـاطبـتـهم لم يفـهـمـوا ؟

ربّاه إنـي قـــد رزحتُ بحــيـــرتي

أأنـا الذي ضلّ الحــقــيــقــة أم همُ؟

إن كنتُ من ركب الضلالة فاهدِني

يجــد الســبــيلَ إليك عــقلٌ مظلمُ

أو كنتُ في كنف الرشاد فأغـوني

من شــذّ عن رأي الجـمــاعــة مـتــهمُ

(٣٩)

فـارقتَ أهلكَ والصحابَ ومـوطنًا

فــارقت فــيـه السـعـد إذ فــارقـتَه

أغـرتْك في الأُفق البـعـيـد بهـارجٌ

براقـــة وهّاجـــة فـــقـــصـــدتَه

وسعـيتَ في طلب النضـار بهـمةٍ

قــعـــسـا فلو رقي النجـوم تبـعـتَه

فجـمعتَ بعد الكدّ والتقـتيـر ما

يـكفـــيك أجـــيـــالاً ولو بذّرتَه

لكنْ بربك هل جنيتَ سـوى الأذى

والـهمِ من هـذا الذي جـــمّعـــتَه؟

(٤٠)

مهما اغتنيتَ فصاحةً وثقافةً
يا ابني نصحتُك لا تكنْ ثرثارا

لم يَرتفعْ قدرُ النضار لو أنه
داني الجنى يتسوّل الأنظارا

قد يحمل السمّارُ هذرك مرةً
لكنهم لن يحملوك مرارا

فاستأنِ والتزم البساطة إنْ تكنْ
في مجلسٍ وتجنّبِ الإكثارا

خيرٌ إذا قالوا : استزرنا أخرسًا
من أن يقولوا ليته ما زارا

(٤١)

حريةُ الضعفاءِ قلَّ حُماتُها
فتنبَّهوا يا معشرَ الضعفاءِ
هي كالسفينة ضيّعتْ ربانها
واستسلمت لمشيئةِ الأنواءِ
لا تدفعوا عنها الردى بمدامعٍ
سحّاحة ، بل فادفعوا بدماءِ
هلك الألى ناموا عن استقلالهم
وتناوموا في الليلة الليلاءِ
لم ترسُ ما بين الورى حريةٌ
إلاّ على هرمٍ من الشهداءِ

(٤٢)

قـــولوا لدجّالٍ يعلّم غـــيـــره

حبَّ الفـــضـــيلة وهو لا يتـــعلمُ

يعظ الورى بلســـانه ، وفـــؤاده

بين المعـــاصي والذنوب مـــقـــسّمُ

يا صاحبي دعواك تفضحُ نفسها

ويشي بما تخـــفـــيـــه وجـــهٌ أســـحمُ

مـا أكـذبَ الجـلادَ يبكي رحـمـةً

وعلى يديْه من ضـــحـــيـــتـــه دمُ

إن لم يـكنْ نهجُ المعلم قـــدوةً

فـــالعـــقل يبني والرعـــونةُ تهـــدمُ

(٤٣)

إنّي ، وإن خـان الصـديق مـودتي

ثبتٌ على عـهـد الصـديق الغـادرِ

أغـضي جفـوني عن مسـاوئه ولا

ألقـاه إلاّ بابتـسـامـة عـاذرِ

أنا مـثله في ضـعـفـه وعـثـاره

فـعـلامَ أرمـقـه بطرفٍ شـازرِ؟

دنيـاك لجّ لا يـقـرّ قـراره

فـاسلمْ بنفـسك أو فـخضـه وخـاطرِ

من يرجُ محض الخير من أصحابه

لم تـخبُ جـذوة غـيظه المتطايرِ

(٤٤)

يا أمةً قهرتْ جيوش غزاتها

بالماضيَيْنِ رجائها وإبائها

سرتِ الزعامة فيكِ داءً قاتلاً

فحذار ثم حذار من بلوائها

لا تطمئني للوعود، فطالما

حملتْ عوادي الشر في لألائها

حطّمتِ نير الأجنبيّ، فحطمي

نير الزعامة تبرئي من دائها

أشقى الأنام - لِمَنْ تبصّر - أمةٌ

تنقاد صاغرةً إلى زعمائها

(٤٥)

ما لي سئمتُ من الحياة ولم أزلْ

في فجر أيامي وزهو شبابي

لا القلب يخفق كلما ضحكتْ له

ليلى ، ولا يهفو لثغر ربابِ

شاه الوجود بناظري ، فصباحه

كمسائه ، وسلافه كالصابِ

يا لائمي لا تتعبنّ ، فإنني

حطّمت قيثاري وعفتُ شرابي

أنا بلبل زاهي الجناح جميله

لكنّ في جنبيّ روح غرابِ

(٤٦)

قــالوا تقــاربتِ القلوب وزال مــا

بين الـورى من فـــــتنةٍ وخـــــلافِ

قلتُ الشعـوب من الفـسـاد بريئةٌ

لا يغــدر الحــافي الشــريف بحــافِ

أصل البــلاء همُ الذين تحكّمــوا

بالناس ، وارتفـعـوا على الأكـتـاف

نامت عن الباغي العيون فصفّقَتْ

أطمــــاعــــه بقـــوادمٍ وخـــوافِ

كالذئب يستشري فيفتك حين لا

يخشى عـصـا الراعي بسـرب خراف

(٤٧)

شلّتْ تكاليف التجارة خاطري

وعدتْ على أحلاميَ الأرقامُ

وتحجّر القلب الذي رقصتْ على

أوتاره الآمال والآلامُ

هذي الحياة بقضها وقضيضها

عبءٌ تنوء بحمله الأجسامُ

يا حاسدي هلاّ رثيتَ لشاعرٍ

تجري بما لا يشتهي الأيامُ

خذْ كل ما ملكتْ يداي وردَّ لي

عهداً توشي أُفقه الأحلامُ

(٤٨)

هوّنْ عليكَ فلستَ موضع حملتي

أنا أنقد الأعمال لا الأسماءَ

الله يشهد لستُ أخفي غير ما

أبدي ، فكيف تظنني حرباءَ؟

يقسو الطبيب على المريض وقلبه

يبكي عليه أدمعًا حمراءَ

بعض الوداعة في النفوس فضيلة

والبعض يُدعى خسةً ورياءَ

أحلى على قلبي صراحة شاتم

ممن يسوق هجاءه إطراءَ

(٤٩)

بعد اللتيا ضاع حقي بينكم

يا ليتني فارقتكم بعد التي...

لم نتفقْ رأيًا وأحسب أننا

لن نلتقي في خطةٍ أو خلّةِ

تحظى بصدرٍ واسعٍ زلاّتكم

وتهيج ثورتكم توافهُ زلّتي

المال غلتكم ، وبئس المقتنى

والشعر مذ فتحتُ عيني علّتي

إن كان لا منجى فيا ربِّ اشفهم

من دائهم ، أو فاشفني من علّتي

(٥٠)

ثارت على نصب الشـهـيـد نيـابةٌ

تحـــيـــا من الأوهام في أغـــلالِ

تختـال في الزي الجديد وعـقلهـا

مـا زال يـخـبـط في القـديم البـالي

نخـرتْ جـراثيم التـعـصّب روحـهـا

تبًا لداءٍ في النفـــوس عـــضـــالِ

واضـيـعـة الأبطال في شـعـبٍ يرى

غـــول المنيـــة فـي ثـرى الأبـطالِ

أو تـأملون الخـيـــر من عـــقليـــةٍ

تخـــشى على الأديان من تمثـــالِ؟

(٥١)

يا عـاقـدين على الغريب رجاءكم

هيـا انســجـوا لرجـائكم أكـفـانا

لا تُغْرِكم هذي الوعـود فـإنهـا

تخـفـي وراء بريقـهـا الثـعـبـانا

ضحك الغـريب عليكمُ فضحكتمُ

فـرحًا وسـرتم خلفـه عـبـدانا

ليس العـمى أن تعـتريك غشاوةٌ

إن العـمى أن تنطح البـرهانا

أرأيت قـبل اليـوم ذئبًا جـائعًا

يرعى بعين حنانه الحـمـلانا ؟

(٥٢)

ولقد بكيتُ على الشباب ولم أزل

أبكي عليــه بدمــعــةٍ لا تنضبُ

من وحـيـه شعـري ومن فـردوسـه

عطري ، ومن ينبـوعــه مـا أشـربُ

صاحبتُه ، لا بسمتي مجروحةٌ

ولهى ، ولا قلبي شكيٌ مــتــعبُ

لم يبق عندي ، بعد فاجعتي به

أملٌ على أُفق الحـيــاة مــذهّبُ

ما العمر إلا بالرجاء فإنْ مضى

زمن الشـبــاب فكل برقٍ خلّبُ

(٥٣)

يا مَنْ يحاول أن يشوّه سمعتي

وينال من أدبي أمـــام الناسِ

قُل ما تشاء فلن أحطّ كرامتي

مهما غويتَ ولن أحقّر ماسي

من كان مثلي لا يهدّم مجدَه

هذيانُ محموم النهى دسّاسِ

الله حسبي لستُ أرجو غيره

بشراكَ، فالحقْ أنت بالخنّاسِ

إني حبستُ عن الوقيعة منطقي

وشهرتُ في سوق الخنى إفلاسي

(٥٤)

خيّبت ظنّي فيكَ يا أغلى الورى

يا ليت لم تطرقْ يدي لك بابا

أتخون في البلوى أخاك وينتهي

عهدٌ، ويمسّخ الرجاء سرابا ؟

أوما نشأنا تحت سقفٍ واحدٍ

بئس الحظوظ تفرّق الأحبابا

ماذا أقول لمن توهّم أننا

نتقاسم الأفراح والأوصابا ؟

إن قلتُ أدركني فإني كاذبٌ

وإذا صدقتُ يخالني كذابا

(٥٥)

يا مَنْ يزيّن لي الوعـــود لأنثني

عن مـــبـــدئي وأُقـــدّس الأقـــزامـــا

دعـــواك باطلة ووعـــدك كـــاذبٌ

فـــاعـــرض لغـــيـــري هذه الأوهامـــا

هيـــهـــات يجـــمـــعنا طريقٌ واحـــدٌ

أو أنت أعـــمى القلب أم تتـــعـــامى؟

أنا لا أبيع كـــرامـــتي، بل ذرةً

منهـــا بثـــروة من بنى الأهرامـــا

وأكـــاد لولا الكفـــر أنكر خـــالقي

كـــبـــراً ، فكيف أؤلّه الأصنامـــا ؟

(٥٦)

لقّحْ بأفكاري قريضك إن تشأ

فلقد أبحتُ روائعي وخواطري

لا تخش من تخشى الفحول نزاله

ماذا تهمّ البحر حسوةُ طائرِ؟

حسبي إذا استقويت أنك لم تكن

لولاي أكثر من جدارٍ هائرِ

بسَط الإله عليّ وارف ظلّه

أأعقه عق الشحيح الكافرِ؟

مَنْ لا يجود على الدعيّ بفضلةٍ

مِنْ فيض ثروته فليس بشاعرِ

(٥٧)

تاه الغنيّ بماله فـــتـــقـــربّت

منه القلوب وصـــفـّقت إعظامـــا

وشدا الأديب فلم يجدْ من سامعٍ

أو عـــابرٍ يلقي عليـــه ســـلامـــا

فطوى جناحيـه على نار الغضـا

وبدا الضـيـــاء لمقلتـيـــه ظلامـــا

عـــجـــبًا أيحظى بالكرامـــة زائلٌ

والخـــالد البـــاقي يهـــون مـــقـــامـــا ؟

الجاهليـة تسـتـعـيد شبابهـا

أيـن النبـيّ يـحطّم الأصنامــــا ؟

(٥٨)

يا زمرة الأدب الجديد ألا اخجلوا

شوّهتمُ وجه البيان الأشرفِ

أأقول نثركمُ سخيفٌ مائعٌ

ماذا أقول إذن بشعرٍ أسخفِ؟

كم ذا أحاول أن أصيب فضيلةً

فيكم ، فأعثر بادّعاءٍ أجوفِ

تتقارضون الترّهات ، فزائفٌ

يزجي الثناء إلى أخيه الأزيفِ

إنّا انتهينا فارحمونا واسكتوا

أوليس تشجيكم مدامع مدنفِ؟

(٥٩)

أوسعتُ صدري للنبال تنوشه

وعلمتُ إني قاتلٌ وقتيلُ

وتشابهت شتى المعاني واستوى

عندي كريمٌ في الورى وبخيلُ

لا ليلَ إلاّ سوف يعقبه ضحىً

لا ضحكَ ألاّ قد يليه عويلُ

أحسنْ إلى الأعداء تأمنْ شرّهم

واغفر ، فأجر الغافرين جزيلُ

ليس احتفالك بالجميل مروّةً

إنّ ابتسامك للقبيح جميلُ

(٦٠)

أوصدتُ قلبي عن كلامك فاقتصدْ

أوْ لا ، ففي الحالين لستُ بسامعِ

أذني إليك وخاطري في شاغلٍ

عن ترّهات حديثك المتدافعِ

أدب المجالس أن تحدث لحظةً

وتصيخ أخرى للجليس البارعِ

ما دمتَ وحدك للكلام فلن ترى

فينا سوى متثائب أو هاجعِ

لَنسيتُ فيك بليّتي وغفرتُها

لو كنتَ تملك ردّ وقتي الضائعِ

(٦١)

لا تعـجبنّ إذا تبـاين مـوقـفي

وتناقـضتْ في سـاعـةٍ آرائي

الحـيـرة الخـرسـاء تنهش أضلعي

مـا حـيلتي بالحـيـرة الخـرسـاءِ؟

دجت الطريق ولا دليلَ ، فكيف لا

يكبـو بهـاوية القنوط رجـائي؟

من كـان في وضح الظهـيـرة تائهًا

هل يهـتـدي في الليلة الليـلاءِ؟

يا صاحبي هيـهات تبـصر مـقلةٌ

تمشي وراء بصـيـرةٍ عـمـيـاءِ

(٦٢)

يا ربّ حررْ أمتي من نفسها

خاب الرجاء بفجرها البراقِ

إن السلاسل جمّةٌ ، وأخفّها

للعارفين سلاسل الأعناقِ

حار الأساة بدائها ، هل من يدٍ

تأتي لها بالقوت والترياقِ؟

ما حاجتي للنور يملأ مقلتي

وظلام نفسي مالئٌ آفاقي

عبثًا تشيد على الصوارم دولةً

إن لم تؤسسها على الأخلاقِ

(٦٣)

يا مَنْ يعــمّي بالطلاسم شــعــره

ويح القــوافي من فــتــاها الثــائرِ

ضلّتْ بمنطقك الغــريب عــقــولنا

وتناهبــتــنا فــيك دهشــةُ حــائرِ

الأقــربون ، وقــد نهكت نفــوســهم

أولى بعــطفك مــن غـــريبٍ عــــابرِ

أيشــق نــور الشـــــمــس كل دجنّةٍ

وتظل تــخــبط في الظلام العــاكــرِ؟

إن كــان هذا الهــذر شــعــراً خــالداً

فــالأبله المعــتــود أخلد شــاعــرِ

(٦٤)

قالوا: الأمير ، فقلتُ: لستُ بلاثمٍ

أذياله فــتــملّقــوه والثــمــوا

أوليس مــثلي من ترابٍ تافــهٍ

فــعــلام أجــثــو دونه وأسلّمُ؟

المرء بالأخــــلاق ، لا بثــــرائه

وبجــاهه، بئس الثــراء الدرهمُ

عــزّ القــويّ بضــعفنا وخــمولنا

لولا خنوع الشــاة هان الضــيــغم

عــارٌ عليكَ إذا اســتكنت لمجــرمٍ

فــإذا هتــفتَ له فــعــارك أعظمُ

(٦٥)

يا مَنْ يلوم على الصراحة شاعراً
هيـهـات ! ليس لما تطبُّ عـلاجُ
العـبـقـرية لا يحـدّ جناحـهـا
قـيـدٌ ولا تُبنى لهـا أبراجُ
عـابوا عليـهـا أنهـا لا تنتـمي
وكـذا يكـون الكوكب الوهّاجُ
مـا أضـيع الشـعـراء توحي فنهم
حـزبيـة، ويقـودهم منهـاجُ
لم يخْبُ صوت الشـعر في فم أمةٍ
إلاّ تـولى أمـرها حـجـاجُ

(٦٦)

مـهـمـا افـتـرقنا قـربةً وعـقـيـدةً
فـحـذار تحـسـب أننا لن نلتـقي

إن كنتَ تستسقي الغمام ، فإنني
مما تبلّ به غليلك أستـقي

مـا دام يجـمـعنا فـضـاءٌ واحـدٌ
مـا الفـرق بين مـغـرّبٍ ومـشرّقِ؟

الله لم يـخلق حـدوداً بـيننا
قل للذي اخـتلق الحـدود ألا اتّقِ

الناس عـائلة ، فـإن جـاع امـرؤٌ
في الصين جاع شـقـيـقـه في جلّقِ

(٦٧)

لا يقـــرب الثــرثار مني ، إنني

أوصـــدتُ بابي دون كل ثقـــيلِ

أنا من يحبّ الحسن ، لكن صامتًا

ويرى جـمـيل الهـذر غـيـر جـمـيلِ

البـــخل منقـــصـــةٌ ، ولكن ربما

بدت الفـضيلة في سكـوت بخـيلِ

يشـجي صداح العندليب مسامعي

فـإذا تتـابع ضـاق فـيـه سـبـيلي

أقـــسـمتُ لـو ملك الـطويلُ لســانُه

مـــاءَ الحـــيـــاة لما بللتُ غليلي

(٦٨)

قالوا: تخضّبْ، قلتُ:لستُ بفاعلٍ

أبداً.. أأطمس بالظلام ضيائي؟

الشيب من نعَم السماء ، وما أنا

من يستخفُّ بنُعْمَيَات سمائي

إن كان خسّرني الصبايا ، فهو لم

يزجر عجائز قريتي عن مائي

إني لأفدي بالصباح عشيّتي

وأفوت كرمى للعشاء غدائي

لم يغْلُ عندي ما تيسّرَ صيده

لكن غلا ما جاء بعد عناءِ

(٦٩)

بشّي ، إذا عبس الزمانُ ، فماجنى
شهْدَ السعادة غيرُ من يتبسمُ
مرآةُ نفس المرء صفحةُ خده
ما أقبحَ الوجهَ الذي يتجهّمُ
تشدو الطيورُ طَروبةً رأد الضحى
ويغولُ بهجتَها المساءُ الأسحمُ
ليس العبوسُ من الوقار وليس في
إشراق وجهك مغرمٌ ، بل مغنمُ
أنا قد تجاوزتُ السماءَ ببسمتي
وعبستُ فانفتحتْ عليَّ جهنمُ

(٧٠)

لا فـضـل لي إنْ أسكرتْكم خـمـرتي

يا قـــوم إنـي لست غـــيــر إنـاءِ

يوحي إلـيَّ الشـعـر شفٌّ نسـيـجـه

شــقــراءُ مــثل الدرة الشـــقــراءِ

جـمَعَ النقـائضَ فـهـو زفـرةٌ بـائسٍ

حــينًا وحـــينًا زأرة اســتــعــلاءِ

فـيـه لأصـحـاب العـقـول عـوالمٌ

وعـــوالمٌ للجــهـل والجــهـــلاءِ

مَنْ لم يكـنْ وتراً لعـــشـــر أناملٍ

لا يشـــرئبَّ لرتبـــة الشـــعـــراءِ

(٧١)

لا ترزحنَّ إذا دهتْك مصيبةٌ

فلقد تهون إذا اشتددتَ رجاءَ

إنّ الذي خلق المساءَ كآبةً

خلق الصباحَ بشاشةً وضياءَ

يمشي الكريم على اللظى ويعاف أن

يشكو وأن يستنجد اللؤماء

للدهر إذ يعلي ويخفض حكمةٌ

أن ينخل الضعفاء والجبناءَ

كم مِنْ رجالٍ كنتُ أكبرُ شأنهم

فوجدتُهم عند النوائب شاءَ

(٧٢)

جـربتُ أصـحـابي فــوا أسـفي

ودخلتُ دنيــاهم فــواشــجني!

يسـخـون... لكن بالوعـود فـمـا

أغناكِ يا أذني ، وأفــقــرني

أنا خــيــر كل الناس عندهمُ

مــا دمتُ عــمــا يملكون غني

كم صـاحب في اليـسـر لازمني

وفــقــدتُه في المنزل الخــشن

لـيـس الـذي يـأسـى لـكـارثـتـي

مــثل الذي يأسى وينجــدني

(٧٣)

مـــالي أحـــاسنه وأكـــرمـــه
فـــيـــجـــيـــبني، لكن برجليـــه
حـــــــسناتـه عـنـدي مـكـبّرةٌ
وعـــيـــوبه كـــغـــبـــار نعليـــه
يا ربّيَ اكـــشفْ عن بصـــيـــرته
واضـــرب على شـــبّاك جـــفنيـــه
مـــاذا يفـــيـــد النور إن عـــثـــرتْ
رجلُ الفـــــتى بظلام ليليـــــه
ليـــثـــيـــر إشـــفـــاقي ويحـــزنني
مـن لا يرى إلاّ بعـــــيـــنيـــــه

(٧٤)

إني لأعــجب من عــبـــاقـــرةٍ
آدابـهـم زورٌ وبـهـــــتـــــانُ
يتــــقـــارضـــون المدح بينهمُ
هل يشـــتم الشــعــرورَ وزّانُ؟
آراؤهم في الشــعــر مــضـحكةٌ
لـكن يـثـــور لـهنّ عــــدنانُ
عـابوا الفـحول على فـصاحـتـهم
وكـذا يعـيب الشـمسَ عـمـيـانُ
أقــســمتُ لم يفـهـم نعـيـقـهمُ
ونهـــيـــقــهم إلاّ سليـــمـــانُ

(٧٥)

اليـأس مـضـيـعـة الرجـال فـلا
يـشـللْ يديك اليـــــأس والـوجلُ

هيـهـات يجـديك الذكـاء إذا
جـــالدتَ لكـن خــــانك الأملُ

فــخضِ الحـــيـاة ولا تـخف زللاً
لـم يُزْرِ بالمتـــــفـــــائل الزلـلُ

كم خـــاملٍ يشكو فـــقلتُ له :
لا يـســتـــوي الإقــدام والكسلُ

لم ينتــصــر عــيــسى بدعــوته
لو جــاء في قــامــوسـه الفـشلُ

(٧٦)

جـــــارتْ عـليكَ نـوائـب الدهرِ
أو مـا لهـذا اللَّيل من فـجـرِ؟

يا قلب كم دغــــدغتَ من أملٍ
ودفنْتَه في مـــيــعـــة العـــمـــرِ

يحـــيـــا ســـواك بألف عـــافـــيـــةٍ
وتـعـــــيـش بـين المدّ والجـــــزرِ

يا قلب لا تعـــتبْ على أحـــدٍ
أنتَ اشــتــريتَ مــتــاعب الفكرِ

عـــبـــثًا تمدّ إلى الثـــراء يداً
مـا دمت تهـوى حـرفـة الشـعـرِ

(٧٧)

أنكرتُ عـــدلكَ ثم عـــدتُ ـ

ـ إلى الصـــراط المســـتـــقـــيم

وأســـأتُ لاســـمك ثم جـــئتُ ـ

ـ بتـــــوبـة القـلب الأثـيم

مـــا لي ســـواك وهل يُرجّى ـ

ـ الخـــيـــر إلاّ مِنْ كـــريم؟

يـــا ربَّ هـــبـــنـــي قـــطـــرةً

مِنْ غـــيث رحـــمـــتك العـــمـــيم

ذنـبي عـظيمٌ غـــيـــر أن ـ

ـ نـداكَ أعـظم مـن عـظـيـم

(٧٨)

يـا مَنْ تـخـــــالـون الـريـال ــ

ــ لكل مـــفـــخــرةٍ ســببْ

ضـــيّعـــتمُ رأس الـفـــضي

ــلة واكـــتـــفــيــتم بالذنبْ

أنـا مـــا جـنيتُ مِنَ اليـــــر

اع ســوى المشـــقـــة والتــعبْ

لـــكــنــــي راضٍ بـــحـــظـْـ

ظِـي فـــازحــفــوا خلف الذهبْ

ربَّ الـنُّضـــــــــــار يمـوت لـٰ

ــكـن لا يمـوت أخـــــو الأدبْ

(٧٩)

هبّتْ رياح سفينتي

فقذفتُها بين المخاطرْ

لا أتقي الأنواء تذ

ْهبُ بالعقول وبالخواطرْ

مَنْ كان يؤمن بالنصيـ

ـب فلا يخاف ولا يحاذرْ

ماذا إذا طال الطريـ

ـق وضاع في الليل المغامرْ؟

سيجيء بعدي شاعرٌ

يمشي على آثار شاعرْ

(٨٠)

بالغتَ في الإطراء حتى ـ

ـ ظنّك الممدوح كاذبْ

يا صاحبي إن الحقيـ

ـقة لا تُموّه بالغرائبْ

حتام ترقى بالحبا ـ

ـ حب فوق هامات الكواكبْ؟

حتام تحسب أننا

خرسٌ نصيخ ولا نجاوبْ

لا يستوي السنّور والضرْ ـ

ـ غام إلاّ بالشواربْ

(٨١)

جـــــــــازف بمـالـك إن أردـــــ

ـ تَ فليس في الخـسـران عـارُ

المـال قـــــــــــد يـأتـي ويـذْ

هَبُ لا يقــــــرّ لـه قـــــــرارُ

لكـن حـــسـن الـصـــيت ذخْـ

ـرٌ لا يبــــــاع ولا يُعــــــارُ

فـاحـرصْ على اسـمك ناصـعًا

لا يعلقـنّ بـه غـــــبـــــارُ

إن الـرصـــــــانـة حلـيــــةٌ

أمّا الـرعـــونة فـــانتـــحـــارُ

(٨٢)

لا ضـــيفَ أثقل في الضيــو
ــ ف من القـــضـــاء المنزلِ
أوصـــــــدتُ بـابـي دونـه
فــغــزا ثقـــوب المنزلِ
لم يُجـــدني أني أقـــا
بِلُهُ بـوجـــــــهٍ أثـقـلِ
يا صـــاحب الحظ التـعـيـ
ــس على البـــلاء تجـــمّلِ
ومــــتى تعـلّمتِ الخطـو
ــ ب طريق دارك فـــارحلِ

(٨٣)

يا شــاعــر الهــذر الرخــيـ
ـص ألا ترفّقْ بـالعــــقــــولْ
فــتكات شــعــرك أم ســيـ
ـوف أبيك ، أم قــدرٌ يصــولْ
ليس التــمــرّد مــا تـلوـ
ـك ولا التــحــرر مــا تقــولْ
أيـن الـذي يروي الحــقــوـ
ـلَ مِن الذي يذوي الحــقــولْ
الـشــعــر ريحــان الســمــا
ـءِ وأنت تحــســبــه بقــولْ

(٨٤)

لا تـطـمـــــعـنّ بـأن تحـــــوّ

لـنـي بـهـــــــذركَ عـن طـريـقـي

أنـا لا أخـــون عـــقـــيـــدتـي

كُرمى لـهـــذرك يـا رفـــيـــقـي

حـــــــــرّيـتـي أغـلـى لـديّ

من الـصـــداقـــة والـصـــديـقِ

أتـعـــيـش فـي الـعـــهـــد الجـديـ

ـد بـفـكـرة الـعـــهـــد الـعـــتـيـقِ؟

لا خـــيـــر فـي الأصـــحـــاب إن

ضـــاعـت بـدنـيـــاهـم حـــقـــوقـي

(٨٥)

طهِّرْ من الأحقاد صد

ركَ تحيَ مأمون المصيرِ

ماذا يفيدك أن تنا

ـ م ـ إذا خشنتَ ـ على الحريرِ؟

لا يقتضيك الحب إلاّ

ـ بسمة الطفل الغريرِ

لولا لهيب البغض ما

ـ جَ القفر بالزهر النضيرِ

إني وجدتُ الدين والدْ

دُنيا سلامًا في ضميري

(٨٦)

يا مَنْ يفـــاخـــــر جـــاره
بأبٍ جليـل الذكـــــر خـــالدْ
المجـــــد مـــا تبنيـــــه أنــ
ـت وليس مــــا أبقـــاه والدْ
فـــانذرْ حـــيـــاتك للكفـــا
ح ونـحِّهـــــــــا عن كـل تـالـدْ
يـزري التـــــواكل بـالرجـــــا
ل فـــإن وهنتَ فـــلا تجـــالدْ
إيمان خــــالد دكَّ عـــــرش الرْ
ـ رُوم لا صــمـــصـــام خـــالدْ

(٨٧)

مـاذا تفـيـدك من دنيـاك مـدرسـةٌ

إن كنتَ عن مدرسات الدهرفي شغِلِ

مكاتب الأرض لا تغني بأجمعها

عــمّا تطالعـه فـي سـفـره الأزلي

ليس الذي يتلقّى الدرسَ في ورقٍ

مـثلَ الذي يتلقّى الدرس بالعـملِ

للنصـــر بابٌ ولكن ليس يدخله

إلاّ الألى ادّرعـوا بالصـبـر والأملِ

يا آكل الكتْب لم تعـثـرْ بمشكلةٍ

لو كنتَ تقــرأ في الأرواح والمقلِ

(٨٨)

يــا مَنْ يمــنّ عــلــى أولاده أبــداً
مــسـختَ بالمنّ فـضلَ الوالدِ الغـالي
يسـخـو الكريم بوحيٍ من سجيّته
شـــتّان مــا بين قـــوّالٍ وفـــعّالِ
ألمْ تكنْ يا طويل العـمـر مـثلهمُ
فكيف تنسى حكايات عهدك الخالي ؟
لئن تعـبتَ عليـهم في طفـولتـهم
لقـد جـزوك على فـضلٍ بأفـضـالِ
في كل بسمـةِ طفلٍ مـتـعـةٌ كرمتْ
عـن أن تُقّـاسَ بأتعــابٍ وأمـــوالِ

(٨٩)

يا شاعر الرمز يبني من سفاسفه

بيتًا ويسمك من أوهامه جدُرا

كيف التأسّي إذا هبَّ النسيمُ فلم

يترك من البيت لا عينًا ولا أثرا

شتّان من ينحت الألفاظَ من حجرٍ

ومن يرقّص في ألفاظه الحجرا

يودي الغرور إذا استشرى بصاحبه

فالجمْ غروركَ لا تُنبتْ له ظفرا

قد يصلح الحبلُ إن عالجتَه وتداً

لكن يخونك إن دوزنتَه وترا

(٩٠)

يا طالب الصيت بالأموال ينفقها

على الحــقـــيــريـن : بواقٍ وطبــالِ

لا يرفع الهذرُ من قدر التراب ولا

يُروى الصدى بسراب القيل والقالِ

ستخرق الشمسُ ألفافَ الغمام غداً

فينجلي الثلج عن «ياقوتك الغالي»

لئن ضحكتَ على السّذّاج لاعجبٌ

إنّ المهــرّجَ مــحــفــوفٌ بأطفــالِ

من كان يبني على البرطيل شهرته

تنهــار إن عــريتْ من فــتنة المالِ

(٩١)

خدعتَ جارك من أجل الريال فلا

تطمع بودّي ولا تمسكْ بأذيالي

إني لأقرأ فيما كنتَ تصنعه

ما سوف تصنعه في يومك التالي

ليس الريال الذي يُبنى به شرفٌ

مثل الريال الذي في جيب محتالِ

نفضتُ كفيَ ممن لا ضميرَ لهم

وغبتُ عنهم بآلامي وآمالي

أغصّ بالماء يسقينيه ذو زغل

وأرتوي من كؤوسِ الحر بالآلِ

(٩٢)

يا مَنْ تفننَ في كيدي وناصبني
مرّ الجفاء بلا ذنبٍ ولا سببِ
مالي أعاطيك خمر الود صافيةً
فتملأ الكأس لي بالحقد والغضبِ
هبْني كما شئتَ لا دينٌ ولا نسبٌ
ألا تُظلّ كلينا رايةُ الأدبِ؟
هبْني دعيًا مهيض الفكر مقعده
أليس تجمعنا قربى الدم العربي؟
هبْني دخيلاً على الفصحى وأسرتها
أليس آدمُ يا ابن الآدميّ أبي؟

(٩٣)

مـا بين سـامٍ وحـامٍ ضـاع مـحـتـدنا
أعــوذ بـالله مـن ســامٍ ومـن حــامِ
كـلاهمـا من أسـاطيـر الـورى أثرٌ
بـادي المقـــاتل للاّهـي وللّرامي
بلادنـا فـي مــثــار النقـع واقــفــةٌ
ونحن نضـرب قـحطانًا بـحـيـرامِ
نلهـو بسـفسطةٍ تـفضي لسفسطةٍ
ونـزرع النـار بين النيـل والشــــامِ
مَنْ ليس يـجمـعـهم جرحٌ وعـاطفـةٌ
هيـهات تجـمعـهم أضـغـاثُ أحـلامِ

(٩٤)

قالوا :صف الشعرَ قلتُ:الشعرُعاطفةٌ

مـهـمـا تضاربَ في تـعـريفـه البشـرُ

واللفظ ثوبٌ فمن يحسنْ صياغته

تـراقــصتْ فـي يديْه الزُهْر والـزهَرُ

لا تستوي دمعةُ الباكي على ألمٍ

ودمـعـةٌ لحـسـاب الأجـر تنهـمـرُ

البلبل المتــغنّي شــاعــرٌ غــردٌ

أمّا المقلّدُ فــهــو الـواغلُ الـهــذرُ

فـاتبعْ هواك ولا تعـبـأ بـفلسـفـةٍ

تريد حـصرك فـيـمـا ليس ينحـصرُ

(٩٥)

إنى لأعـجب من أعـمـال شـرذمـةٍ

تدعو إلى الحرب باسم السلم والشرفِ

حامت على جيَفِ الشهوات جائعةً

فلم تدعْ لكلاب البـــر من جـــيَفِ

يا ناحـري الحق كي يعـتـزّ باطلهم

وناشـري الموت كي يحـيـوا على ترفِ

غنّوا، وضجّوا وغوصوا في مباذلكم

غـداً تغـوصـون بين الدمع والأسفِ

لا بدّ من ثورةٍ للحق عـاصـفـةٍ

والويل للسلف الجـاني من الخلفِ

(٩٦)

قـالوا: فـلانٌ لذو شـأنٍ فـقلتُ لهم:
والـلـه لـولا جنـاحُ المـال لـم يـطِرِ

عجبتُ للفلس يُخفي عيبَ صاحبه
عن العـيـون ويبـدي طيّب الأثرِ

إني لأحــســد ربَّ المال لا طمـعًا
بالمال ، بل حذراً من ألسن البشرِ

إذا تـوفَقَ فـي أمــرٍ يحــاوله
قـالوا الذكاء أساسُ الفوز والظفرِ

وإن تراجع ملتــفًّا بخــيـبــتــه
فالذنبُ ليس عليه ، بل على القدرِ

(٩٧)

يا مَنْ يوزّع ألقاب الجهاد على

ناسٍ ويحرم ناسًا دونما سببِ

عرّضتَ نفسك لو تدري لمكرهةٍ

وغصتَ في لجةٍ تفضي إلى العطبِ

عين العدالة بالمرصاد واقفةٌ

لكل رذلٍ قليلِ الخلق والأدبِ

فاحبسْ لسانك أو فارحل إلى بلدٍ

تروّجُ في سوقه حرّيةُ الكذبِ

باسم العروبة تهجونا ؟ خسئتَ أبًا

إن العروبة لا تقسو على عربي

(٩٨)

يا باذر المال في ما لا يشرّفه
البخل والكرمُ المجنونُ سيانِ

ما كنتَ لولا دمُ المحروم في سعةٍ
ولا تبسّمتَ لولا دمعةُ العاني

هبّتْ رياحُك فاغنمها بلا بطرٍ
لكن ترفّقْ بظمآنٍ وجوعانِ

شتّان بذلك في لهوٍ وفي عبثٍ
وبسطك الكفَّ في برٍّ وإحسان

فاحذْر على اسمك من بخلٍ يشوّهه
واربأ بجودك عن وسواس شيطانِ

(٩٩)

ارحم فؤادكَ من حقدٍ يعيث به

فالحقد نارٌ وأنتَ الشيح والحطبُ

لا شيء كالحب يجلو صدر صاحبه

لو ساد في الناس مات الخوف والرهبُ

إني لأعجب ممن لا يحب أخًا

وليس يعجبه في جاره العجبُ

تميّز المرء بالأخلاق ، لا حسبٌ

يجدي ـ إذا هي شانتْه ـ ولا نسبُ

هيهات يفلح من شاهت سريرته

لم يأخذ العينَ لو لم يلمع الذهبُ

(١٠٠)

يقول جاري ، وقد راجت تجارته

وخـــاف أن أقطع الأيام مـــقطوعـــا

يا شـاعـر الحب والأحـلام معـذرةً

هل يطعم الشعـرُ إلاّ البـؤس والجـوعـا ؟

ما كـان أغناكَ عن سعي ولا ثمرٌ

لو كنت تجــهل منصــوبًا ومــرفـوعًا

فـقلتُ يا صـاحب الحـانوت معـذرةً

هل يعرف البوع من لا يعرف الكوعا ؟

لا بـارك الله في مـــالٍ تـتـيـــه بـه

إن كـان للعـار لا للغـار مـجـمـوعـا

(١٠١)

واخـجلتـاه من ابني حين يسـألني

عـمن أحب ومن أقلى من البـشـرِ

أليس كل عـبـاد الله عـائلةٌ

فكيف أُفـرّق بين البـدو والحـضـرِ؟

يا ابني نصـحـتك أن الحـقـد أوله

شـرّ ، وآخـره شـران فـاعـتـبـرِ

مـا كـان أصـغـرني لما فـتـحتُ له

بابي ، وأنزلتُه في القلب والبـصـرِ

جـرحان يحـرق أضلاعي لهـيـبهـمـا

فقد الصحاب وما قد ضاع من عمري

(١٠٢)

وفِّرْ لغيريَ ما تلقيه من حكمٍ
ومن عظاتٍ ، فأذني عنك في صممِ

ما دمتَ في الوحل تفكيراً وتربية
فكيف تغسل من أدرانها قدمي؟

سريرة المرء تبدو في مخايله
إنّ التكرم غير الجود والكرمِ

لا تعبد الواحد الباري علانيةً
ان كنتَ تسجد في نجواك للصنمِ

من ليس يربح في دنياه معركةً
هيهات يربح في الأخرى سوى الندمِ

(١٠٣)

قلبي وعقليَ في حربٍ إذا انقطعت

أسـبـابهـا أوجـدا للخلف أسـبـابا

هذا يرى الناس أعــداءً زبانيــةً

وذا يرى الناس أصـحـابًا وأحـبـابا

هذا يقــيم علـى الأرقــام دولتــه

وذا يعــيش مع الأحــلام جـوّابا

لقـد شـقـيتُ فـلا عـقلي يطاوعني

ولا الفــؤاد إذا نهنهـــتُه ثابا

كأنني ـ وأنا في الساح بينهـما ـ

شــاةٌ تـصــارع أظفــاراً وأنيــابا

(١٠٤)

يا شـائدين على الأشـلاء دولتكم

لا يسـتـقرّ على البـركـان بنيـانُ

نيـرون كـشّر عن نابيـه قـبلكمُ

فـهل وقـاه قـضـاءَ الله طغـيـانُ؟

بئس المســيطر لا إيمانٌ يردعــه

عن المخـازي ، ولا يثنيـه وجـدانُ

وضعتمُ السيف في أعناق أمتكم

فكيف يُرجى من الموتور غـفـرانُ؟

من يركب الشرّ في أحلامه علقتْ

مـخـالب الشـرّ فـيـه وهو يقظانُ

(١٠٥)

لا تيـــأسنّ إذا نابتك نائبـــةٌ
فليس ينجـو من الأرزاء إنســانُ
ولا تلوذنّ بالشكوى ، فما دفعتْ
شــراً ولا حــبلتْ بالخـيــر أحـزانُ
بل قابلِ الدهر بشّ الوجه مبتسمًا
فـقـد يـهـيض جناحَ الشـر إحسـانُ
دنيــاك تزخـر بالأخطار لجـتُهــا
فـقفْ على الشط إن يخـذلك إيمانُ
من جاور الذئب فـيلذكـر مـخـالبـه
هيهات يسطو على الضرغام سرحانُ

(١٠٦)

يـا لائـم الحـظ يـشـكـوه ويـلـعـنـه

أقــصـر، فــإنك في الدارين مــتّهمُ

شكواكَ تضحكني من غير ما فرحٍ

وســوء حظك ، لو عــالجـتَه ، ورمُ

قـضيتَ عـمرك لم تنهض إلى إربٍ

إلاّ تمـنيّتَ لـو زلّتْ بك الـقـــــدمُ

لم يُرهب الليث لو خـارتْ عـزيمتـه

الظفــر مــيزه ، والناب والشــممُ

مـا أبعد الـنصر عـمن لا سـلاح له

في حومة السـعي إلاّ الدمع والندمُ

(١٠٧)

قالوا: هجاكَ فلانٌ قلتُ: ما ألفتْ

رجلي مطاردة الديدان والفـــارِ

لو كان في وجهه ماءٌ لكان له

من اسمه الرذل ما يدعو إلى العارِ

سمج الحديث ، ثقيل في دعابته

كـــأنما دمـــه نهـــرٌ من القـــارِ

هيهات يرفع شأني حين يمدحني

وإن هجـــانيَ لم ينزلْ بمقـــداري

آيات شعريَ نورٌ يُستضاء به

يا نابح البدر حسبي غبطة الساري

(١٠٨)

أغليتُ نفسي ، ولكن لا أضنّ بها

إذا تراءتْ على ابني سورةُ الكمدِ

إني لأقرأ أمسي في ابتسامته

واستشف على عينيْه طيفَ غدي

قالوا: البنون لكالأكباد قلتُ لهم:

قصّرتمُ... إنهم أغلى من الكبدِ

إن أحسنوا فهمُ ظلٌّ وعافيةٌ

وإن أساؤوا فعين الحب في رمدِ

أستغفر العقلَ.. إني في محبتهم

يكاد يسبقُ صفحي زلةَ الولدِ

(١٠٩)

يا عـائب الناس لا تطمعْ بمكرمـةٍ
لا صلحَ يجـــمع بين الماءِ والنارِ

عجبتُ ممن يرى في الروض عوسجةً
ويغمضُ الطرف عن وردٍ وعن غارِ

في الناس خيرٌ فإن تذكرْ مساوئهم
فـاذكـرْ مـحـاسنَ أخـيـارٍ وأبرارِ

طهّرتُ قلبيَ من حـقـدٍ ومن زغلٍ
فـادخلْ إليـه قـرير العين يا جـاري

البرُّ يبــدأ في بيــتي وعــائلتي
والعــدلُ يبــدأ رأسًا خــارج الدارِ

(١١٠)

قالوا تحداك شعرورٌ فقلتُ لهم :

لا وقتَ عندي لترقيص السعادينِ

تصدّني عن مهاوي العار تربيتي

ولا أخوض الخنا خوفًا على ديني

فتحتُ بابيَ للطرّاق فليلجوا

خيرات ربيَ تكفيهم وتكفيني

سلوا البلابل كم أسكرتُها طربا

فهل أشاغل نفسي بالغرابينِ؟

إني نشرتُ على الآفاق أجنحتي

فلن تلوّث ظلي عشرةُ الطينِ

(١١١)

احرصْ على الجار مهما شاك ملمسه

فـربما احـتـاج أخـيـارٌ لأشـرارِ

ولا تحاسبه إن يخطىء إليك فقد

ينهـاه حلمك عن غيّ واصـرارِ

عـفـا ابن مريم فـازدادت مكانتـه

ومـات أعـداؤه في الإثم والعـارِ

فـلا تذم جـمـيع الناس ، إنهمُ

نـور ونـارٌ ، وهـل نـورٌ بـلا نـارِ

إن كان جارك في خير وفي سعةٍ

فقد يصيبك شيء من ندى الجارِ

(١١٢)

ناجيت ليلى بشعري

فعاتبتني نهادُ

وحين ناغيتُ سلوى

ثارتْ عليَّ سعادُ

يا ناس رفقًا بقلبي

لم يبْقَ فيه رشادُ

شبابه يتلاشى

وناره تزدادُ

آياتُ ربيَ شتّى

يا ليت قلبي جمادُ

(١١٣)

تلوم جارك ظلمًا
وأنت باللوم أجدرْ
كلاكما بشريٌّ
يصيب حينًا ويعثرْ
لئن أساء كثيراً
فسيِّئاتك أكثرْ
فلا تحاسبْ عسيراً
كيلا تجازى بأعسرْ
يشير كامن ضحكي
أعمى يهاترُ أعورْ

(١١٤)

حكومةُ العهد أنكى
مما تظنّ وأنكرْ
عرفتُ فيها عيوبًا
ويعرفُ الناسُ أكثرْ
لا تُخدعنَّ بطبلٍ
كم من طبولٍ تؤجّرْ
في ظلّها كلُّ شيءٍ
مع الزمان تغيّرْ
صار الغنيّ فقيراً
أما الفقيرُ فأفقرْ

(١١٥)

مـــــــالي أنـاقـض ذاتـي
فـــيـمـــا أقــول وأفـــعلْ

أثـور بـالبــــخل حـــينًا
وقـــد أعـــود فــــأبخلْ

وأشـــــتكي ثـم أرضـى
وأزدهـي ثـم أخـــــجلْ

يـا صـــاحـــبي لا تلمْني
فـلـستَ مـنـيَ أفـــــضلْ

مـــا دمتَ مـــاءً وطـينًا
فـــأنتَ مـــثلي وأجـــهلْ

(١١٦)

حـــــاورتُ قلبي فــــمــــاتت
علـى فـــــمي الـكـلـمـــــاتُ

قـــــد اخـــــتلفنا لـســـــانًا
وفــــــرّقــــــتنا فـــــلاةُ

صلّيتُ كي نتـــــــــلاقى
فـــــمـــــا أفـــــادت صـــــلاةُ

طغى الجـــمـــــال عليــــه
فـلـم تـرقْه الـنـجــــــــــاةُ

الحـبُّ عـنـديَ مــــــــوتٌ
وعـنـد قـلـبي حـــــيـــــاةُ

(١١٧)

مــــا للحـــقـــيـــقـــة تمشي
وحـــيـــدةً خــــرســـاءَ

تفـــــرّق الناس عنهـــــا
وأوســعــوها جــفـــاءَ

إذا اســتــغــاثت تلاهوا
ولم يجـيـبـوا النداءَ

تمــوت همًا وغـــمًا
ولا تـلاقـي عـــزاءَ

مَنْ كــان مِنْ غــيـر أهلٍ
قــضى الحــيــاة شـقـاءَ

(١١٨)

عبدتم أمس طاغوتًا
وسبّحتم بنعماهُ

وكنتم مِنْ صوارمه
تدافع عن خطاياهُ

ولما انهار حائطه
تناهشتم بقاياهُ

لأنتم في كلا الحالين
لا شرفٌ ولا جاهُ

أكلتم لحم سيّدكم
ويحمي الكلب مولاهُ

(١١٩)

ويـــا مَنْ يـــلـــبـــس الــلــيـــل

إلـى شـــهـــواتـه الحـــمْرِ

أراك خـلـطتَ فـي حـــــاليـْ

ـك بـين الخـــيـــر والشـــرِّ

أتـعـــــصي اللـه فـي اللـيـل

وتـخـــشـــاه مع الفـــجـــرِ

وتـنـهــــــانـا عــن الـوزر

وتـســـبـــقـنـا إلـى الـوزرِ

وتنسـج من خـــيـــوط الـكفْـ

ـر منـجـــاةً مـن الـكـفـــرِ

(١٢٠)

وفـــيتُ لهـــا فلم تحـــفظ
لمجنون الهـــوى عـــهـــدا

أتغـــفـــو ملء جـــفنيـــهـــا
وتذوي مـــقلتـي ســـهـــدا

رشـــفتُ الصـــاب من يدها
فـــحـــال على فـــمي شـــهـــدا

هداك الله يا عـــــربيـــــد
في صـــدري مـــتى تهـــدا ؟

زهدتُ بهـــــا فلم أربحْ
ســـــوى أن أكـــــره الزهدا

(١٢١)

لماذا لا تشاطرني
مسرّاتي وأحزاني؟

كلانا يا أخا المنفى
هزارٌ بين غربانِ

إذا آذاك ثعبانٌ
فقد والله آذاني

وإن ضحكتْ لك الدنيا
زكتْ راحي وريحاني

ليجمع بيننا أدبٌ
إذا اختلف الطريقانِ

(١٢٢)

تحـررتُ من نفـسي فلستُ بزاحفٍ
إلى الجاه أو طاوٍ ضلوعي على حقدِ

تشابهَ عندي الخيرُ والشرُّ واستوتْ
بعـيني وقلبي صـورةُ الحر والعـبدِ

غنيتُ عن الرزقِ الـكثـيـر بلقـمـةٍ
ورتّلتُ للرحـمان تسبـيحـةَ الحمـدِ

طريقيَ شـقّتـهـا تعـاليمُ أحـمـد
ونضّرها عـيـسى وفـيّأها غندي

أحسّ بظفـر الشـوك في كل وردةٍ
وأنَشقُ في الأشـواك رائحـةَ الوردِ

(١٢٣)

لك الله لا تهزأ بدمعة شاعرٍ
فهزؤك لو تدري يزيد ببؤسهِ

ولا تتساءلْ ما الذي هاج يأسَه
فإن فضولَ الناس علةُ يأسهِ

يُطلّ على الدنيا بلهفة حائرٍ
ويُدرج ولهانًا بظلمة رمسهِ

إذا هو لم يزحفْ إلى الجاه والغنى
يعيش غريبًا بين أبناء جنسهِ

وإن جعل العجلَ المذهّب همّه
ليرضي الأنامَ انحطّ في عين نفسهِ

(١٢٤)

وما أنا من يجفو الصديق إذا جفا
وأوصد دوني بابَه وهجانيا

فقد يملكُ الغضبانُ يومًا صوابه
فيعلمُ أني ما فقدتُ صوابيا

تفاءلْ تجدْ عذراً لكل تهجمٍ
وهوِّنْ تجدْ للصفح بابا محاذيا

أنقضي الليالي في بناء صداقةٍ
فإن عبستْ يومًا نسينا اللياليا ؟

لكلٍّ صديقٍ من فؤاديَ منزلٌ
فكل صديقٍ قطعةٌ من حياتيا

(١٢٥)

قــرأتُ لـه من شــارداتي خــريدةً
سـمـوتُ بهـا نسـراً وطرتُ جـودا

فـصاحَ لمن هذي ، فقلت : لـشاعرٍ
يغـيبُ اسـمـه عني فـقـال : أجـادا

لهذا هو الشعرُ الذي يُسكر النهى
ويَعـــذبُ ريّا للنفـــوسِ وزادا

ولما درى أنَّ الطلا بنتُ كـرمــتي
تفنّنَ في تشـــويهـــا وتمادى

فـوالله مـا أدري أنفـخـةُ سـاحـرٍ
تحـوّل في كـفّي النضـارَ رمـادا ؟

(١٢٦)

ولا تبْدِ للراجي نداك تجـــهـــمًا

وإنْ لم يكنْ طبـعًا لديك التـبـسّمُ

فقد يُحمَد الإمساكُ والوجه مشرقٌ

ويُستـقبَحُ الإحسانُ والوجهُ مظلمُ

هو الجـودُ أنْ تُعطي بغـير تـكلّفٍ

كـمـا فـاح طيبٌ أو تراقصَ برعمُ

تخـففُ آلامَ الشـقيّ ابتـسـامـةٌ

وإن لم يرافـقـهـا من الجـيب بلسمُ

كــريمٌ لعــمــري من يجـود بمالـه

ولكنّ مَنْ يعطي مِنْ القلب أكـرمُ

(١٢٧)

قضيتُ حياتي أزرع الخير في الورى

فلم أجْنِ من زرعي سوى الحسراتِ

أكـفـكف دمع البـائسين ومـقلتي

تقـرّحـهـا في وحـدتي عـبـراتي

وآسـو جـراح البـائسين فـلا أرى

أخـا رحـمـةٍ يصـغي إلى زفـراتي

حملتُ ـ ولم أبرحْ ـ خطايا أحبّتي

وقـيّدتُ في ديْني ذنوبَ لداتي

فهل أنا دون الناس أستأهل الشقا

وهل كلٌّ من تحت السماء عدائي؟

(١٢٨)

إذا كنتَ ذا مـالٍ ولم تكُ مـحـسنًا

فــمـــالُك لو تدري عـليك بلاءُ

وإن كنتَ ذا علمٍ ولم تكُ نافــعًا

فـعلمك والجـهل الذمـيم ســواءُ

تحــوم على الوادي الطيــورُ لأنهــا

يبشّ لهـــا أيْكٌ ويضـــحكُ مـــاءُ

لكم خنقتْ أفقي القريبَ غـمامـةٌ

فـلاح من الأفق البـعــيـد رجـاءُ

عطاء هي الدنيــا وأخــذٌ ، وإنما

أحَبُّ إلـى نفـس الـكـريمِ عـطـاءُ

(١٢٩)

أغــار على شـعـري كـأنـي أخطّه

بريشـة أهدابي وذوْبِ مـحـاجـري

ومـا الشـعـرُ تصـوير لما هو ظاهرٌ

ولكنه تصـويرُ مـا فـي الضـمـائرِ

ومـا الشـعـر وزنٌ يسـتـقـيمُ ولفظةٌ

ولـكـنّه لحـنٌ عـلـى فـمِ طـائـرِ

إذاصحّ معنى البيتِ في كسر وزنه

ألا فـاكسـروه تجـبـروا ألف خاطرِ

برئتُ من الشـعـر الذي لا يهـزني

وأعطيــتُك الدنيـا بآيةِ شـاعـرِ

(١٣٠)

أرى في طباعِ المرء ألفَ نقيضةٍ

وأكثرَ منها في مجاهلِ عقلِهِ

فأقرأ آيات الهدى في ضلالهِ

وأستطلعُ الأنوارَ في ليل جهلِهِ

لأعذره إمّا رماني ببخيله

وأحذره إمّا حماني برجلهِ

أنا مثله في يأسه ورجائه

وفي أصله السامي وخسّة أصلهِ

عجبتُ له يطوي البحار سباحةً

ويوشك أن تطويه دمعةُ طفلِهِ

(١٣١)

إلهي الذي تشدو البلابل باسمه

ويذكـــره بين الخــــرائب بومُ

تهـاجم آمـالي الهـمـومُ وتنجلي

حنانك شـمسٌ والهـمـوم غـيـومُ

إذا صام غيري عن رغيفٍ وخمرةٍ

فـــإنيَ عـــمّا لا تحب أصـــومُ

خلعتُ ترابي ـ مذ عرفتك ـ جانبًا

وأصبحتُ روحًا في حماك أحومُ

جناحـاي إيمانٌ صـفـا ومـحـبـةٌ

ودربي إلى باري السـمـاء نجـومُ

(١٣٢)

قـيـودي في وادي الدمـوع كثيـرةٌ

فــلا تتــوهَّمْ أن حظَّكَ أفــضلُ

أنا عــبـدُ إيماني وشكي وبيـئـتي

وما غاب عن علمي وما لستُ أجهلُ

أنام وفي قلبي همــومٌ تنوشــه

وأصحو وفي نفسي غمـومٌ تولولُ

وأخنقُ أحـلامي مـخـافـةَ سـاخرٍ

كــأنّيَ مــربوطٌ بما هو يفــعلُ

فــواعــجــبًا ممن يحــرّر عنقــه

وتفكيــره بالتــرّهات مكبّلُ

(١٣٣)

على النار سرْ إمّا حملتَ رسالةً

ولا ترجُ أن يُزجى إليك ثناءُ

فقبلك كم عانى من الناس مصلحٌ

ومات على حدّ النصال رجاءُ

تطيب مجاني الترّهات لخاملٍ

وينبو بآذان الأصمّ غناءُ

عزاؤك أن الحق لا بدّ ينجلي

كما طلعتْ بعد الغياب ذُكاءُ

ولا تعجبنْ إن يزدروك فإنما

ذكاؤك بين الأغبياء غباءُ

(١٣٤)

بلاديَ ضلّتْ للمعالي طريقها

فهل تهتدي بعد الضلال بلادي؟

رقدنا على المجد التليد فقادنا

إلى دركات الهون طولُ رقادِ

نباهي بماضينا ونزهى بأصلنا

ألا فاتّعظ يا نافخًا برمادِ

إذا لم يكنْ كالفجر ثوبيَ ناصعًا

فعريي لعميان البصائر بادِ

حملتُ بلادي في فؤادي فإن يضقْ

فتحتُ ضلوعي وانتزعت فؤادي

(١٣٥)

إلى الله أشكو ما ألاقيه من أخٍ

يفكّر في هدمي ويسعى ويسهرُ

توهّمَ أني كاذبٌ في مودتي

ولم يُغْنِ أني حين يذنب أغفرُ

أمدّ له كفّي فيأبى سلامها

وأمحضه صفحي فيرغي ويزأرُ

وما بيننا ثأرٌ ولا بيننا دمٌ

ولكن أيرضى عن سنا الشمس أجهرُ؟

ولو ردّ للتعمير بعض ذكائه

لكان له شأنٌ لدى الناس يُذكرُ

(١٣٦)

أطالع في كل النفــوس شــمــائلي

وألمح في كل الوجــوه ســـمــاتي

فـفي بعض أعـمـالي وقـاحة فـاجرٍ

وفي بـعض أعـمـالي حـيـاءُ فـتـاةِ

وفي بعض أخلاقي شراسةُ ضـيـغمٍ

وفي بـعض أخـلاقـي وداعـةُ شـاةِ

جمعتُ الندى والنار والليلَ والضحى

وشعـشعتُ بالكفر البذيء صلاتي

فــلا سـيّئـاتُ الناس تُقلق راحـتي

ولا أقلق الدنيـا بطيب صـفـاتي

(١٣٧)

أرى الناس يزجون المديح لحاتمٍ
ولم أرَ منهم مَنْ يُقلّد حاتمًا

بشاشةُ وجه المرء عنوانُ فضله
فإن تكُ ذا فضلٍ فأظهره باسمًا

يشاتمني من كنت أدفع دونه
ويأبى لساني أن يهاتر شاتمًا

كتمتُ همومي عن عدوٍّ وصاحبٍ
فلن تجدوني عابس الوجه قاتمًا

إذا لم يقاسمني رغيفيَ جائعٌ
فلا شبعتْ عيني ولا زلتُ صائمًا!

(١٣٨)

إذا أكثر الشكوى أديبٌ فلا تجرْ

عليه ، فما ينهاه لومٌ ولا زجرُ

له عذره لو كنتَ تقرأ دمعه

وهل يستحق اللوم مَنْ دمعه عذرُ؟

يعيش الأديب الحرّ في عزلة الردى

وإن حفّه من أهله عسكرٌ مجر

ويمشي على أدمى من الشوك موطئًا

وإن كان يكسو دربَه العشبُ والزهر

ولا تحسبنّ المال يقطع دمعه

فأهون آلام الأديب هو الفقرُ

(١٣٩)

عـشـقتُ العلى لمّا رأيتُ طريقـهـا
مــهــددةً مــحــفــوفــةً بالمخــاطرِ
فطلّقتُ أحــلام الفــتــوّة والهــوى
وأعـــرضتُ عن ناهٍ وفيٍّ وزاجـــرِ
وأطلقتُ أقــدامي أرود جــواءها
بإيمان طلاّع الثنايا مـــغــامـــرِ
فإن أدركتْ نفسي مطارح غـايتي
رفـعتُ على هام الزمـان مفـاخـري
وإن خـذلتْني في الطريق عـزيمتي
فـحـــسـبيَ أنّي لستُ أول عــاثرِ

(١٤٠)

همُ الناس مهما شطّت الأرض أسرةٌ
ودربهمُ مهما تشعّب واحدُ

فيا حاملاً بالعرض سلّم رأيه
أيجني سوى شوك الندامة حاقدُ

إذا المرء لم يعضدْ أخًا يستجيره
فلن يُرتجى بين الأباعد عاضدُ

دع الحبّ يملأ كلَّ مغرز إبرة
بنفسك ، إنّ الحبّ والله خالدُ

رثيتُ لمن يطوي على البغض صدره
فقد تنطفي بالبغض حتى الفراقدُ

(١٤١)

تعـــــوّذتُ من إبليس لما رأيتُه

ولاذ بـحلم الله حين رآنيـــــا

وسلّمتُ ، لكن عابسًا متجهمًا

فـردّ سلامي نابيًا متغاضيا

وجالستُه كرهًا فلما سبرته

تحققتُ أنّي ظالمٌ في عدائيا

وجالسني كرهًا فلما استشفّني

تيقّن مثلي أنه كان جانيا

فلا يُضمرِ البغضاءَ قلبُك لامرىءٍ

ففي الشوك إن تبحث وجدت أقاحيا

(١٤٢)

نبـاهةُ ذكـري لـو علمتَ مـصيـبـةٌ

فـيا خيـر آسٍ أعطني نعـمـة الصبرِ

تكلّفني مـا لا أطيق احـتـمـاله

وتشرب من عـيني وتأكل من صدري

حلمتُ بهـا عـنقـاءَ تقـصر دونـهـا

يداي، ويكبو في مـسـارحـهـا فكري

سفحتُ على أقدامها زهوة الصبا

وقـرّبتُ فـي أقـداسـهـا زهرةَ العـمـرِ

فلما استوى عودي ورُضتُ زمامها

تمنّيتُ لـو أنـي ظللتُ بلا ذكــــرِ

(١٤٣)

أثار على حــواءَ حــربًا أكــولةً
طغى جـهله فـيـهـا وعـربد لؤمُه

ولم تجنِ ذنبًا يستـحق احتـقـارها
ولا سـوءةً ، لكن كـذا شـاء وهمُه

له مـن جناها كل مـا لذّ طعـمـه
وإن هو جـازاها بما مــرّ طعــمُه

ألا ازجر عن الفحشا لسانك ، إنه
لَصِلٌّ ، وهذا الهـذر والهـجـر سـمّهُ

إذا شتم المرءُ النسـاء وما استـحى
فــأول مـــشـتــومٍ مِنْ الناس أمّهُ

(١٤٤)

بُليت بشـعـرورٍ على الناس ناقمٍ

إذا طربوا للحـسـن أرغى وأزبدا

تحدّى نسـورَ الشـعـر في وثبـاتهم

فعاد مهيضًا خائر العزم مقعدا

فـشنّ عليـهـم غـارةً زلزلتـهـمُ

ودكّ بـنـاءً شـيّدوه ممـردا

وشقّ لهم دربًا جـديداً منمنمًا

ومـدّ لهم أُفـقًا قـشـيـبًا مـورّدا

فهيّا نسور الشعر صيروا ضفادعًا

وإلاّ مضتْ أتعاب صاحبنا سدى

(١٤٥)

خفضتُ جناحي إذ هجانيَ ناقصٌ
فلم يُجدِني أني خفضتُ جناحي

ولو أنني قابلتُه بسلاحه
لَما كان عِرْضي عُرضةً لنباحِ

عدوك عامله بما يستحقه
فلا يستوي ذو عفّةٍ وإباحيِ

جميلٌ سكوت المرء عمن يسبّه
وأجمل منه صده بكفاحِ

فقد يستبيح النذل تهشيم عرضه
إذا كان عرض الناس غير مباحِ

(١٤٦)

لكل ابن أنثى فى الحياة وظيفةٌ
إذا ما تخطّاها إلى غيرها كبا

فلا تتجشم ما تنوء بحمله
ولا تتحدًّ النسر إن كنتَ أزغبا

أبى الله إلاّ أن يغرّد بلبلٌ
فإن شاء تقليدَ الغراب فقد نبا

إذا انفكّ من قيد التقاليد عاقلٌ
وشرّق في قلب الحياة وغرّبا

رأى الروض مخضّلاً فهزّتْه نشوةٌ
يحسّ صداها حين يلمح سبسبا

(١٤٧)

ولي صاحبٌ آليتُ ألاّ أخونه

وإن ساورتْه في وفايَ ظنونُ

فتحتُ له قلبي وأوصد قلبه

وليس سواءً واثقٌ وظَنونُ

إذا ضخّمتْ ذنبي لعينيه ريبةٌ

محا ذنبَه في ناظريّ يقينُ

جفاني فما أغلقتُ بابيَ دونه

ولا عكرتْ أُفقي غمائمُ جونُ

وإني لجوّادٌ بما ملكتْ يدي

ولكنني بالأصدقاء ضنينُ

(١٤٨)

تبــــرّأ ربّ الدين ممن يخــــاله

مطيـــة تفـــريقٍ وبوق تعـــصّبِ

أبشّرَ عـيـسى بالعـداوة في الورى

وهل زرع البـغـضـاءَ بينهمُ النبي؟

هو الدينُ أن تسعى إلى الخير جاهداً

وتغمض جفنًا عن مسيىءٍ ومذنبِ

وتهمي على المحروم عطفًا ورحمةً

وتستنقـذ المظلوم من شرّ مـخلبِ

إذا لم تصمْ عـــينًا وقـــولاً ونيّةً

فـملعـونةٌ تقـواك في كل مـذهبِ

(١٤٩)

خلوتُ إلى نفـسي أعـدّ ذنوبهـا

فـضـاق بهـا ذرعي وكلَّ لسـاني

لكم زرعتْ قـمحًا فلمّا حصـدتُه

وغـربلتُه لم يبق غـيـر زوانِ

جـريتُ وراء التـرّهات ولم أزلْ

إليـهنّ منقـاداً بألف عنانِ

يُثـير بيـاني في المجالس نشـوةً

فـيـا صاحبي لا تنخدع ببـياني

أخَفُّ عـيـوبي مـا تصـوّرَ قـادحٌ

وأثقلُهـا مـا يسـتـسـرّ جناني

(١٥٠)

أقـامـوا له بعـد الممـات مناحـةً

وصـبّوا لـه بعـد المناحـة تمثـالا

وكـالوا لـه مـدحًا لـو أن أقلّه

صـحـيحٌ لحـيّتْه الكواكب إجـلالا

فـقلتُ لنفـسي : يرحم الله روحـه

ولكنهم غالوا ـ ويخطىء من غالى

فقالت : وما يؤذيك ، إن دموعهم

دمـوع رجـالٍ مـا يزالون أطفـالا

كفى الموت فضلاً أنه رغم قبـحه

يـطـهّر آثـامًا ويـخـلق أبـطـالا

(١٥١)

دعيني وأحلامي ، فلستُ مزاحمًا

غنيًا ولا مستقويًا بسلاحِهِ

صباحي بألوان البشاشة زاخرٌ

فيا حلوتي ما حاجتي لصباحِهِ؟

قنعتُ فزادت كسرتي عن طعامه

وما قلّ مائي عن عذوبة راحِهِ

حظوظٌ هي الدنيا فمن ساء يومه

فلا يقلق الدنيا بفرط صياحِهِ

رأيتُ جناح النسر يستوطىء السهى

فهل طار عصفورٌ بغير جناحِهِ؟

(١٥٢)

أنا يا صـــاح من جـــســـدٍ وروحٍ

فـلا تعـجبْ إذا اختـلطتْ حـدودي

أحـــوم على رغـــيـــفـي ثم ألـوي

عنانـي خلف قـــافـــيـــةٍ شـــرودِ

فلي فـي مـــســـبح الأفـــلاك رجلٌ

ورجلٌ في الـســـلاسل والقـــيـــودِ

يعـــيش الحبّ في أعـــمـاق نفـــسي

يداً بيـــدٍ مع الحـــقـــد اللدودِ

كـشـفتُ من الطـبـيـعـة ألف سـرٍّ

ولم أجـهـل سـوى مـعنى وجـودي

(١٥٣)

تـظـرّفَ وهْو لـم يُخـلـقْ ظـريـفًا

فـمـجّتْه المسـامع والقلوبُ

وأظهـرَ غـيـر مـا يُخـفي فـبـانت

على مـرآة عـينيـه العـيـوبُ

هربنا من سـفـاسـفـه ولكن

تتـبـعَنا فلم يُجـدِ الهـروبُ

فـيـا ملك السـماجة عمْ صـبـاحًا

نتـوب إليك فـارحمْ من يتـوبُ

ثـلاث كـوارثٍ حلّتْ عـلـينـا

نـكـاتُك والـزلازل والحـروبُ

(١٥٤)

وعـنـدي حين تـشــــتــــدّ الـبـــلايا

يدٌ تأســو ببلســمــهــا جــروحي

هو الله الـذي لا ريب فـــيـــــه

تعــالى عـن سـخـافـات الشــروحِ

أحــيل إليــه أعــبـائي وأغــفــو

قـــــــريراً فـي ظـلالٍ مـن سُمُوحِ

أقـــول لمن يجــادلني ألا الـبسْ

ـ لكي تحظى برحمته ـ مسـوحي

أرى بالـعـين مــــا صنعت يداه

وأبـصــــــر قَدْرَهُ الأعـلى بروحي

(١٥٥)

إلى وطن الجدود تحنّ روحي

فهل ألقاكَ يا وطن ا لجدود ؟

طويتُ الأرض من شرقٍ لغربٍ

فلم أرَ مثل حسنك في الوجود

تبشّ وأنت تخبط في الرزايا

وتفرج كربة الخصم اللدود

ملأتَ حدائق الدنيا وروداً

وغيرك داس أعناق الورود

يمينًا ما شاَك الخلد لو لم

تكنْ هدفًا لأطماع اليهود

(١٥٦)

أرحْني من حـــديث الحـــرب إني
لأخـــشى أن تموّتني شـــهـــيـــداً
أأنزع من يدي قـــيـــداً عـــتـــيـــقًا
لأضـــرب حـــولهـــا ، قـــيـــداً جـــديداً
أأحـــيـــا في بلاد الناس حـــراً
وبين عـــشـــيـــرتي عـــبـــداً طريداً ؟
أحبّ وأفـــتـــدي وطني ولكن
أخـــاف عليـــه طاغـــيـــة مـــريداً
ســـيـــادة أمـــتي وهمٌ بوهمٍ
إذا أفـــرادها كـــانوا عـــبـــيـــداً

(١٥٧)

عـجـبتُ لمقـعـدين جـروا بإثري

على عـمـدٍ ، فـأعـمـاهم غـبـاري

رأوا ناري تؤج فـــهـــاجـــمـــوها

فـمـا ذنبي إذا احـتـرقـوا بناري؟

وأعـــجـــبهم جـداري فـــاعـــتلوه

فـإن زلقـوا فـمـا ذنب الجـدارِ؟

عـمـالقـة البـيـان همُ... ولـكن

أردتُ به البـيـان الخنفـشـاري

يصكّ مـسـامـعي منهم نعـيقٌ

وأقـتـلهم بزقـزقـةِ الهـزارِ

(١٥٨)

تبسّمْ للحياةِ... ألا تبسمْ

ولو أرغتْ وأزبدت الحياةُ

وقابل بالثبات سهام دهر

تعوّدَ أن يذلّله الثباتُ

رأيتُ الناس أسعدهم فؤاداً

غبيٌّ تزدهيه الترّهاتُ

سيمضي العمر مراً أو لذيذاً

كما يزهو وينطفىء النباتُ

فكن مثل الهزار يظل يشدو

ولو ألقاه في القفص الجناةُ

(١٥٩)

سمعتُ مصليًا يعظ البغايا
وينهى الناس عن عمل القبيحِ
تهدُّجُ صوته نغمٌ شجيّ
يرافق دمعة الجفن القريحِ
فأكبرتُ التُّقى ورأيتُ فيه
شهيداً من تلاميذ المسيحِ
ولكن لم يجنّ الليلُ حتى
سعى للحان يبحث عن مليحِ
فلم أرَ قبل وعظته هديلاً
يحوّله الظلام إلى فحيحِ

(١٦٠)

أحبكِ.. غير أنك لم تزالي
بأفق خياليَ المجنون وهمًا
ترفّ عليكِ أحلامي وتهفو
إليكِ جوارحي وتذوب غمًا
أعلّ الشهد من شفتيكِ حينًا
وأشربُ تارةً من فيك سمًا
سموتِ فكلُّ قولٍ فيكِ عيٌّ
وغرتِ فكل طرفٍ عنك أعمى
رسمتكِ في مخيّلتي خيالاً
فهل ألقاكِ في دنيايَ جسمًا

(١٦١)

نصحتك يا كريم النفس جانبْ

عشير السوء تجتنب المهانهْ

ولا تجعل من التهريج دأبًا

فقد تودي بهيبتك المجانهْ

تعلمتُ الرطانة من هجينٍ

ولم أصلحْ مدى عمري لسانهْ

يظل الشرّ شراً ليس يرقى

إلى قدم الفضيلة والأمانهْ

ولو منحوا يهوذا تاج غارٍ

لصار الغار عنوان الخيانهْ

(١٦٢)

فرضتُ على يراعي الصمتَ لما

تناهشني «عمالقة» البيانِ

ولذت بعزلتي خوفًا على اسمي

يجاريهم بشقشقة اللسانِ

ليزجرني عن الفحشاء خلقي

وينهاني عن السوأى جناني

فقولوا للألى صالوا وجالوا :

لقد بايعتهم بالصولجانِ

إذا اعلولى النهيق فكيف تفضي

إلى الأسماع زقزقة الكمانِ؟

(١٦٣)

أقــام بعــرســه الميــمــون دنيــا

وأقـــعــدها بمولده الســـعــيــدِ

وبذّر في الملاهي مـــال شـــعبٍ

يعــيش بظلّه عــيش العــبــيــدِ

فـــقـــولوا للذين يرون فـــيـــه

مـــلاذاً للشـــريد وللطريدِ

عـمـيتم أم تعـامـيتم ضـمـيراً

أم أن الخـوف عنوان القـصـيـدِ؟

لقــد خــاب القــريب به رجــاءً

فكيف تصحّ أحــلام البـعــيــدِ؟

(١٦٤)

يبـــالغ حين أقـــبلُ في مـــديحي

ويغلو حين أدبرُ في اغـــتـــيـــابي

فـهل تخـفى عـيـوبي في حضوري

لكي تبـدو وتـكبـر في غـيـابي؟

يكاد يُريبني في قـــدْر نفـــسي

فـمن يجلو دياجـيـــر ارتيـــابي؟

ذهبتُ مع الهـــوى شـــرقًا وغــربًا

ولـــكـــن لا ذهـــابَ بـــلا إيـــابِ

ومـــا نفع النظافـــة في ثيـــابٍ

إذا كـــان الخنى تحت الثـــيـــابِ؟

(١٦٥)

ضـحكتُ من الزمـان وقـد تجنّى

علـيَّ بـكـل أنـواع البـــــــلاءِ

يـحـــــاول أن يزلـزلـنـي لأحنـي

له رأسي ، فـــيـــصـــدمني إبائي

تســاوى الفــقــر والإثراء عندي

ولـم يسْمُ الذكـــاء على الغـــبــاءِ

إذا استهوى الغنى غيري ، وهانت

كـــرامـــتـــه هربتُ من الثـــراءِ

أعـــــاف المال لكني أضـــحّي

على حـرَمِ الـصـداقـة كــبـريائي

(١٦٦)

خذوا عني دراهمكم وروحوا
فليس لهنّ في سوقي رواجُ
طريقكمُ لقاصدكم قتادُ
وماؤكمُ لواردكم أجاجُ
مننتم بالعلاج على جراحي
فلم ينفعْ مع المنّ العلاجُ
هبوني بسمةً لا غشّ فيها
فليس من الكرامة أن تداجوا
إذا عشيتْ بصيرة مستضيءٍ
فلا والله لن يُغني سراجُ

(١٦٧)

رأيتُ الموت يتــــبــــعني كظلّي

ويرقـد ـ حين أرقد ـ في سريري

فقلتُ له ـ وقد أرغيتُ غيظًا ـ :

وثار على سمـاجـتـه ضـمـيـري

ألا دعْني فـقـد نغّصتَ عـيـشي

وعكّرتَ العـــذوبة في غـــديري

أنا زين الشـــبـــاب نُهًى وخلقًا

فكيف أنام في لحـدٍ حـقـيـرِ؟

كـــرهتُ الموت... لكن ألف أهلاً

به في تربة الوطن الصـــغـــيـــرِ

(١٦٨)

طويتُ رسالتي الغرّاء لمّا

رأيت الشعر معدوم الرواةِ

يطارده الحواة بلا حياءٍ

ويتركه الحُماة بلا حماةِ

وملتُ إلى التجارة أمتطيها

جواداً في ميادين الحياةِ

فلا تتعجبوا مني لسحقي

يراعًا كنتُ أفديه بذاتي

فقد يقضي الخزام على شذاه

إذا احْتَقَرَتْه مملكةُ النباتِ

(١٦٩)

رفعتُ عقيرتي تيهًا وعجْبًا

كأنَّ الشمس تطلع من جبيني

فأوقفَني من المجهول صوتٌ

يقول بلهجة الزاري الرصينِ

رويدك أيها المختال كبراً

وهَمْتَ فأنت من ماءٍ وطينِ

جناحك في الحضيض وإن تعالى

إلى حينٍ ، ورجلكَ كلَّ حينِ

سيطوي ما بنيتَ ثرًى يساوي

أميرَ القوم بالعبد الهجينِ

(١٧٠)

أحنّ إليك يا وطني وأصـــــبـــو

كـمـا يـصـبـو إلى المرح الكسيحُ

وأطمع أن أراك قـــبـيْـل مــوتـي

لعلّي بعـــد مــوتي أســتــريحُ

تـكاد تموت آمــالي اكــمـــداداً

فـــهل يُرجى لعلّتــهـا مـســيحُ؟

يراددني على السلوان عــــقلي

ويأبى بين أضـــــلاعي جـــريحُ

فـــهل تتــحــقق الأحــلام يومًا

وهل تجــري بما في النفس ريحُ؟

(١٧١)

بكيتُ عليك يا وطني المفدّى

لو أن الدمع في البلوى يفيدُ

جديد الحسن تفنيه الليالي

وحسنك ، كلما كرّتْ ، جديدُ

بلاك الفاتحون فكنتَ طوداً

يذوب على نواتئه الحديدُ

فكيف تبيح للشذّاذ أرضًا

طريف المجد فيها والتليدُ؟

إذا انتشر الحريق ببيت جارٍ

فبيتك للّظى طعمٌ عتيدُ

(١٧٢)

عـجـبتُ لمعـشـرٍ بالغـرب هامـوا

ولم يربطهمُ بالغــــرب عـــرقُ

فـــعـــبّوا من مـــفـــاســـده ولكن

أبوا تـقليـــــده حـــيث الأشقُ

جـــــفـــــاةٌ إن ألمّ بهم قـــــريبٌ

فـــإن جـاء الغـريب هفـوا ورقـوا

إذا نـادى منـادي الهـــــزل لـبّوا

وإن نادى منادي الجـد عـــقـــوا

فـــهم في مـــعـــرض الأزيـاء غـــربٌ

وهم فـي سـاحـة الأعـمـال شـرقُ

(١٧٣)

ولولا أن يُقـال ثناه عـجـزٌ

وأقـعـده عن التـحليق ضـعفُ

لطلّقتُ القـريض ولم يشـقْني

خـلودٌ كـلُّه وهـمٌ وسـخـفُ

شكوتُ وكـيف لا أشكو وحـولي

ضـفـادع بالبـلابل تسـتـخفُ

تسـاوى شـاعـرٌ يطأ الثـريّا

وشـعـرورٌ يسفّ ولا يرفُ

ولـيـست تنفع الشكوى ولكن

تخـفّف من همـوم النفس أفٌّ

(١٧٤)

شبابكِ يا مليحةُ قد يزولُ
ونجمك سوف يدركه الأفولُ

فلا تتبختري مرحًا وزهواً
فكم زهو إلى ندمٍ يؤولُ

جمال النفس أفضل من جمالٍ
له من بعد نضرته ذبولُ

رأيتُ العقل زينة كل حيٍّ
تدول الراسيات ولا يدولُ

فلا تشقي بمن يهواك جسمًا
ولا يُعنى بما تهوى العقولُ

(١٧٥)

شهرتُ على السخافة ألف حرب

فكان النصر فيها للسخافهْ

أهاجمها بما ملكتْ يميني

فتستعدي زنابيرَ الصحافهْ

تسمّي نفسها شعراً جديداً

فيا عجبًا أصار الشعر آفهْ؟

حلفتُ لأغسلنّ يديّ منه

فإن الدين يوصي بالنظافهْ

متى انطوت الصدور على فسادٍ

تشاكلت الحقيقة والخرافهْ

(١٧٦)

يعـــيّرني بلا حـــسبي صـدیقٌ

له حـــسبٌ ويشـــتـــمني بأهلي

فــقلتُ له رأيت الشــمس تلقي

ذوائبـــهـــا على طورٍ وســــهلِ

تســاوى الناس في نظري وزالت

حـــدودٌ بين مـــولودٍ وكـــهلِ

عــدا جــاري وســرتُ أنا وئيــداً

فــمــا قــصّرتُ عنه برغم مـهلي

كـــريمٌ من يكرّمني لعلمي

وأكـــرم من يكرمني لجـــهلي

(١٧٧)

أقـــول لمن يظنّ الشــعـــر وزنًا

وقـــافـيــةً وســفــسطةً وهذرا

أتـســـقـي غلة الظامـي ســـرابًا

وتطعم لهـفـة الجـوعـان جـمـرا ؟

جناحك في التـراب فــلا تحــاولْ

بأن ترقى إلى الآفـــاق نســـرا

أجلُّ الشـعـر مـا ينسـاب عـفـواً

وأســخـفـه الذي ينسـاق قــســرا

إذا ســـاء البـــذار فـــأيّ عـــقلٍ

سليم يرتجي ثمـــــراً وزهـرا ؟

(١٧٨)

لا تســـــمْني ألاّ أناقض ذاتـي
أنـا يا صـــــاح مـن ظلامٍ ونـورِ
ربما نمتُ في المســـــاء تقـــيًا
ثم (أصبحت عـاصيًا) في البكورِ
ربمـــا هـــزّنـــي غـــنـــاء هـــزارٍ
ثم غنى فلم يهـــزّ شـــعـــوري
تُبـــتلى النفس كل يوم بحـــالٍ
وتـؤدي كـــــآبـةُ لـســـــــرورِ
جلّ من أبدع العـــقـــولَ ولكن
غلّهـــا فـــامــتطتْ جناح الغـرورِ

(١٧٩)

يا دعـــاة الســـلام في كل شـــعبٍ

لـم تقمْ دعـــوةٌ بدون كـــفـــاحِ

جــاور الذئب نعــجــةً فــتــعــشّا

ها وصلّى وراءها فـي الصـــبـــاحِ

يسـتبـاح الضـعيـف من غيـر ذنب

يا لـه طائـراً بغـــــيـــــر جناحِ

ضـــاع حــقـي فلم يفـــدني نـواحٌ

كـيف يطغـى علـى الزئيـر نـواحي؟

إنَّ مـن يشــــتــري الســــلام بمالٍ

لـيس يسطيع صـــونه بالســـلاحِ

(١٨٠)

كيف أنسى فضل الحياة ومنها

كل ما في دفاتري من دروسِ

علّمتْني أن السعادة نهرٌ

نابع في النفوس لا في الطروسِ

علّمتْني أن المحبة شمسٌ

سجدتْ لاسمها جميع الشموسِ

كنتُ أسعى إلى الغنى ، فهدتْني

لكنوزٍ تفجّرت من رؤوسِ

قد حمدتُ الحياة سعداً ونحسًا

فزكتْ لقمتي وماتت نحوسِي

(١٨١)

لا تطبّلْ إذا أقلتَ عثاراً

أو تزمرْ إذا رجاك فقيرُ

حسبُ من يصنع الجميل دموعُ ـ

ـ الشكر يذري عقودها المستجيرُ

آفة البرّ أن يرافقه المنّ ـ

ـ ويمشي وراءه التشهيرُ

كم فقيرٍ إذا مننت عليه

غصَّ بالماء وهو عذبٌ نميرُ

إن فلسًا يلفّه الصمتُ خيرٌ ـ

ـ من ألوفٍ يحفّها التزميرُ

(١٨٢)

يا رفـاق الطريق لا مـدحَ أرجـو
كلُّ مـا أرتجيـه أن تنصفـوني
إن أكنْ صـالحًا فـلا ترجمـوني
أو أكنْ طالحًا فـلا ترحمـوني
مـا تكسبتُ بالقـريض ، فـإني
أكـره الشـعـر آلةً للمـجـونِ
كل بيتٍ سللتُه من ضـمـيـري
كل حـرفٍ كـتبـتُه بجـفـوني
إنَّ شعـري مـرآة نفـسي ، فـإن لم
تبلغـوا غـوره فلن تعـرفـوني

(١٨٣)

قــال لـي صــاحــبي أراك حــزينًا

قلتُ ليلي دجـا وعــبـئي ثقــيلُ

أتـأسّى علـى الـهــمــوم بقــولي

حــسـبيَ الله وهْو نعم الـوكـيـلُ

لا أرى في الـسـمـا ء ومض رجـا ءٍ

أتـلاشـى ، أم أنّ طـرفـي كـلـيـلُ؟

كم دخـيـل على الفـصـاحـة يزهى

بسـخـافـاته ، ويُغـضي الأصـيلُ

كــسـد الشــعــر بعـد عــزٍّ وجـاهٍ

حين راج التــهــريج والتــدجــيلُ

(١٨٤)

عـاب شـعـري مـغـفّلٌ مـالطيّ

يُضحك القردَ شعره الحنفسائي

خير ما يرتديه في حلبة الفخر ـ

ـ وأغلى مـا يقـتنيـه هجـائي

كلمـا صـفـقتْ يدي لبـيـاني

مـاج بالغـيظ واشتـفى بالبكاءِ

قلتُ يا صـاحـبي رفـعتَ بنائي

حين هدّمـتني وزدتَ عـلائي

لستُ أخشـاك نابشًا سيّئـاتي

نكبـتي أن تنالني بثناءِ

(١٨٥)

يا بلادي ، ومـــا ذكـــرتكِ إلاّ

قـعـد الـوجـد في ضلوعـي وقـامـا

طُويتْ راية الغـــريـب فـــقلنا

حصحص الحق واستعدنا السلاما

أملٌ لم يـبـشّ حــــتى تلاشى

وشـــعـــاعٌ أطلّ حـينًا وغــامـــا

فــمتى تنجلي غـمـامـة عـهـدٍ

لا يزال الكلام فـــيـــه حـــرامـــا

ذهب الاحـــتـــلال جـــيـــشًا ولكن

عـــاد من كـــوّة البـــلاد نظامـــا

(١٨٦)

لا تكن ليّن القناة فيلويك

نسيم ، أو قاسيًا فتخيفُ

كن لطيفًا مع اللطيف ولكن

كن عنيفًا إذا بلاك عنيفُ

صورة الذئب في الخواطر نابٌ

وسماتُ الخروف لحمٌ وصوفُ

العصا عدّة البذيء ولكن

هي للخير ينتضيها العفيفُ

إن حق القويّ نوعٌ من البطل

وحق الضعيف حقٌ ضعيفُ

(١٨٧)

تعب الناس منكمُ فـاسـتـريحـوا

وأريحـوا يا مـعـشـر الأدعـيـاءِ

قـد هدمـتم صـرح البيـان وشـدتم

فــوق أنقــاضـــه صـــروح هراءِ

بنت عـدنان أمكم ، فـارحـمـوها

إنما البــر من وصــايا الســمــاءِ

عــجــبًا ينزوي الأصـــيل ويخلو

للدخـيل الهـجين رحب الفـضــاءِ

لم نخنْ حـرمـة التــراث ، ولكن

أفــسـد الشـعـرَ كـثـرةُ الشـعـراءِ

(١٨٨)

أغلظ القـــول مـــا أردتَ فلن

تجــرح بالهــذر والهــراء كــريما

أنا من ضيّق الفضـاء على النسـْ

ـر فـهل أغضب الخراب البوما ؟

لك عندي قلبٌ يفـيض ســلامًا

وشـــذاً منعــشًا وظلاً رؤومـــا

يا إلهي طهّرتَ نفسي من الشرّ ـ

ـ فـهلاّ طهّرتَ مثلي الخصوما

مـا رأيتُ اللئيم ينهشني إلاّ ـ

ـ تمنيّتُ أن أكــون لئيـــمـا

(١٨٩)

لا تلمْني إذا شكوت فـــإنـي

بين ظفــرٍ من الحــيـــاة ونابِ

لي عــدو يندسّ في كل شــأنٍ ــ

ــ من شـؤوني ويشـتفي بعـذابي

يتـــخطّى إليّ بـابي ويبـــدي

رأيـه في خطيـئــتي وصــوابي

أتخـفّى عنه فـيـفـضح سـري ــ

ــ ولو اني وراء ألف حـــجــابِ

ليس لي مـا حيـيتُ منه مـفرٌّ ــ

ــ فـعــدوي يعــيش في أثوابي

(١٩٠)

أيهـــا المزدهي بمالك مـــهـــلاً

كل حـــال مع الزمـــان تحـــولُ

أســخفُ الناس من يبـاهي بفـانٍ

كـيف ترسـو عـلى الرمـال أصـولُ؟

عــمـرك الله هل ســمـعتَ ببـدرٍ

لم يصـبْه بعـد التـمـام أفـولُ؟

يا إلـهي حــــجّرْ فــــؤادي وإلاّ

أعـطني من غـناك مــــا لا يزولُ

كلمـــا مـــدّ كـــفّه لي فـــقــيــرٌ

خلتُ أني عن فــقــره مــســؤولُ

(١٩١)

أيهـــا العـــابس الذي نتّقـيـــه

مــثلمـا تتـقي الرياحَ حـمـامـهْ

خلّ عنك العـبـوس واضـحك ورنّمْ

لا تردّ القـضـاءَ عنك جـهـامـهْ

آيـة الأفـق أن يـكـون بـهـــيًّا

مـشـرق الوجـه لم تشبْه غـمـامـهْ

ضـايقِ المرءَ ، إن تسـامحَ فـاعلمْ

أن فــيــه مـروءةً وشــهـامــهْ

كم صـديقٍ خـسـرتُه بعـبـوسي

وعــدوٍّ ربحــتُه بابتــســامــهْ

(١٩٢)

عشْ وحيداً ولا تصاحبْ كذوبًا

ليس يرعى الكذوبُ ذمةَ صاحبْ

ربما كان فيه ومضة خيرٍ

إنما شرّه على الخير غالبْ

كم بريق يُخال في القفر ماءً

عاد راجيه وهْو حرّان خائبْ

بارك الله بالتجارب أستاذاً ـ

ـ فكم أحسنتْ إليَّ التجاربْ

علّمتني أن أستريب بفضلي

حين يثني على الفضيلة كاذبْ

(١٩٣)

لا يضقْ بالعداء صدرك مهما
غام أُفقٌ وماج ليلٌ بهيمُ
يستطيع اللئيم أن ينهش الأ
عراض لكن لا يستطيع الكريمُ
أي فرق بين الرعونة والحلم ـ
ـ إذا انساق في التلاحي الحليمُ
أدوات الكفاح في العيش شتى
غير أن الشريف منها عقيمُ
فتسلحْ باللؤم فيه وإلاّ
فارضَ أن يزدهي عليك اللئيمُ

(١٩٤)

ربطوا الشعر بالرغيف فباضتْ
ترّهاتٌ وفرّختْ ترّهاتُ

وتصدّى للأيك كلُ دعيٍّ
حين قالوا: إنّ البلابل ماتوا

شرف الفكر أن يكون طليقًا
كالسنا لا تحدّه حاجاتُ

يا بزاة القريض أبرمتمونا
من نفاياتنا يعيش البزاةُ

ليس بالشعر ما يغذي بطونًا
إنما الشعر زفرةٌ وصلاةُ

(١٩٥)

نسي القلبُ أنني صرتُ كهلاً

شائب الرأس ، مرهق الأعصابِ

فتمنّى ، وخاب ما يتمنّى

وتصابى ، وهل يفيد التصابي؟

قلتُ يا قلبُ لا تحلّقْ فتهوي

لم يعدْ عندنا جناح عقابِ

ذهبتْ ريحنا ، فلا نتعللْ

برجاءٍ ، وننخدعْ بسرابِ

قد يكون الخضاب حلاً ولكن

هل يعيد الخضاب عزم الشبابِ؟

(١٩٦)

قــال: مــاذا تريد؟ قلتُ : ســلامًا

للشــعــوب التي تحب الســلامــا

ليس في الحرب من خسـارٍ وربحٍ

إن فـــيـــهـــا ثواكـــلاً ويتـــامى

ليس بين الشـعـوب ثأرٌ وحـقـدٌ

فــعـــلامَ اقــتــتـــالهـــا ، وإلامَ؟

من رأى لبـــوةً تصـــارع أخـــرى

أو حمامًا في الأيك يُفني حماما ؟

فليكنْ بعــضنا لبــعضٍ وحــوشًا

إن عــجــزنا عن أن نكون أنامــا

(١٩٧)

شباب العروبة لا تيأسوا

إذا خاب في الزعماء الأملْ

تقوم البلاد على عزمكم

فلا تستكينوا لداعي الكسلْ

فلسطين في ذمة العاملين

فهلاَّ تناديتمُ للعملْ

وهلاَّ تسلَّحتمُ بالرجاء

فإنَّ القنوط طريق الفشلْ

إذا قعد الليث عن غيله

تمادى عليه وصال الحملْ

(١٩٨)

والله لولا بقــــايا رجـــاءٍ

ترفــرف بين بقــايا شــبـــابِ

لعـــفتُ القــريض وأحـــلامـــه

وأوصــدت دون الشــيــاطين بابي

فقـد يخنق اليأس صوت الهزار

إذا راج في الروض صوت الغرابِ

يقــول الصــحــاب : إلى كم تئن

فـــقلتُ : إلى أن يزول عـــذابي

ظمـــئت وفي الكأس مـــاء زلال

فـــهل يرتوي ظمـأي بالســرابِ؟

(١٩٩)

بُليتُ بجارٍ قصير الذراع

طويل اللسان قليل الأدبْ

أصبّحه فيردّ السلام

بنادرة تستثير الغضبْ

وأختصرُ القول كي لا يزيد

فيحسب أنّ اختصاري طربْ

صبرتُ عليه ولكن صبري

تحوّل ناراً وقلبي حطبْ

فيا «حملايا» حنانك إني

نسيت «فداك» لسان العربْ

(٢٠٠)

ركـــبتُ جناح الغـــرور ونمتُ

قـــرير الفــؤاد عـــزيز الجنابِ

فــحلّق بي في مــراقي النســور

وطوّف بي في قـصـور السّحـابِ

ورصّع تـاجـي بـنـور الـدراري

وعــطّر دربـي بـنـفـح الـروابـي

ولمـا أطلّ الـنهــــار أفـــــقتُ

على الشـمس تغـزو منافـذ بابي

فـــألفـــيتُ رأسيَ بين النجـوم

ورجلـيّ بـين ثـنـايـا الـتــــرابِ

(٢٠١)

لماذا أراك كـثـيـر التبـاكي

قليل القناعـة بالحـاضـرِ

أتحـسب أن الدمـوع عـلاجٌ

لفـاجـعـة الأمل العـاثرِ؟

تبـسّمْ فـقـد تنجلي غـمّةٌ

على بسـمة الحـامـد الشـاكـرِ

تطيّرتَ قـبل وقـوع البـلاء

فـنـؤتَ بـكلـكـله الـعـابـرِ

تَغـذّى الـهـمـومُ بدمع الجـزوع

وتزلق عن مـهـجـة الصـابرِ

(٢٠٢)

بلاديَ في حـــاجــةٍ لزعــيمٍ

شـريف ، فـأين الزعـيم الشـريفُ

يحــــدّ مطامع ســـاداتـهـــا

فــيـأمن شـرَّ القـويّ الضـعـيفُ

ويبـعث مــا مـات من عـزمـهــا

فـــيــضــحك شطٌ ويرقص ريفُ

تكاثر فــيــهــا دعــاة الصــلاح

فــأين الصــلاح وأين الرغــيفُ؟

إذا العــدل لم يبـتــدىء بالبطون

فكل جـهــادٍ عــقــيمٌ ســخــيفُ

(٢٠٣)

همستُ بأذن النسيم متى
يعود الغريب إلى أهلهِ
فيسرح في طوده آمنًا
ويمرح جذلان في سهلهِ؟
توالت عليه ليالي النوى
ولجّ الأحباء في عذلهِ
فقال النسيم متى أخصبتْ
بذور القناعة في حقلهِ
إذا المرء لم تروه نهلةٌ
فلن يطفىء البحر من غلهِ

(٢٠٤)

مَنْ أنا ؟ هذا سؤالٌ مبهمٌ
طالما ضاقتْ به آفاقُ نفسي
كلّما حاولتُ أن أجلوَه
زاد تيهي وتعثرتُ بيأسي
حبستْني فيه أفكاري ، فهل
من يدٍ حانيةٍ تفتح حبسي؟
يا له سلسلةً قد ربطتْ
في مطاوي سرّها مهدي برمسي
سأضيع الغد في صحرائه
مثلما في قاعه أغرقتُ أمسي

(٢٠٥)

أيهـــا العـــابس يشكو دهره

دون داعٍ ، أنت مـيتٌ يتــحـرّكْ

أوَ لا تبــصــر في دنيــاك مــا

يبعث البـهـجة أو يشـرح صـدركْ

لا تنـلْ غـــيـــرك باللوم إذا

نال منك الدهر أو أثقل ظهــركْ

جـاورت عـــوســجــة زنبــقــة

فلمــاذا حـرّك العـوسج ذعـركْ؟

لن ترى في العمـر يومًا أبيـضًا

إن تشـوّه بالأسى والخوف عـمركْ

(٢٠٦)

شوّهَ الثورةَ قوم حسبوا

أنها سلبٌ وتشريدٌ ودمْ

ليتهم لم يظلموا إخوتهم

إن شرّ الناس مظلومٌ ظلمْ

شرف الصارم أن تشهره

في سبيل الحق ، في ظل العلمْ

خرج الإنسان من غابته

وارتقى عن مستواه بالألمْ

إنما الثورة قلبٌ مؤمنٌ

ويدٌ تندى سخاءً ، وقلمْ

(٢٠٧)

أبعـــدِ الكذاب عني ، إنني

أكـــره الكذب وأخـــشى خطرَهْ

يُتّقى اللصُّ ، ولكن أين مَنْ

يتقي الكاذب مهما نظرَهْ؟

فُطر الناس على الصدق فإن

شذّ إنسانٌ فلُمْ من فطرهْ !

أنا لا أحسن ظنّي بامرىءٍ

يحذر السامعُ أن لا يحذرهْ

آفة الكذّاب أنّ الصدق في

شفتيه يتراءى مسخرهْ

(٢٠٨)

لي صــديق ، غــفــر الله له
يدّعي الجـرأة فــيــمــا يدّعي
قلقٌ لو عطستْ برغـــشـــةٌ
لاحــتــمى منهـا بحـصن التــبعِ
يملأ الـنادي حــديثًا فــــارغًا
ـ يستثير الضحك ـ عمّا لا يعي
كـلـمـــــا أرهقني قلتُ له :
رحــمــةً بي يا صــديقي الألمعي
صــرخــة الأرنب في سلطانه
ليس فـيـهـا غـيـر مـعنى الفـزعِ

(٢٠٩)

قـــال : هـل تـؤمـن بـالله الذي

خلق الإنســان من مــاء وطينْ

قـلتُ : آمـنـتُ ولـم أبـرح ولـن

أفـــتـــري في آيـة الروح الأمينْ

كل مــا في الكون من تدبيـــره

هل ترانا لســـواه راجـــعينْ؟

شـقي الجـاحـد يقـضي عـمـره

ضـــائعًا في وضـح الحق المبينْ

ليـس للإيمان حـــدٌ فـــاصلٌ

قـــد يكون الشك دربًا لليـــقينْ

(٢١٠)

لستِ أذكى الناس يا سيدتي
فلماذا كل هذي الكبرياءِ
ألأنَّ الله لم يبخل على
وجهك البض بحسنٍ وبهاءِ؟
تلك منه هبةٌ غاليةٌ
لا توفّى بشكورٍ وثناءِ
فاحذري ثمّ احذري ثمّ احذري
أن تسيري مرحًا بين النساءِ
لستِ إلاّ دميةً من حجرٍ
إن يكن حسنكِ من غير ذكاءِ

(٢١١)

أيهـا المأفـون يقـضي عـمـره

حـائمًا بين الملاهي والمقـامـرْ

لك أهلٌ فـاحـتـرم سـمـعـتـهم

ولك اسمٌ فـامنعن عنه الأظافـرْ

إنما الصـحـة كنزٌ طاهرٌ

كيف تلقيه بشدقٍ غير طاهرْ؟

لا تقلْ إن أقـبل الحظ أفـزْ

أنت يا مسكين في الحالين خاسرْ

لا تقـامـر إن تكن في فـاقـةٍ

وإذا كنتَ غنيًا لا تقـامـرْ

(٢١٢)

نجّنـي يـا ربّ مـن أهـلـي ومِنْ

أصـدقـائي ودع الأعـداء لي

أنا في الضـرّاء مـيْتٌ فـإذا

جـاءت السـرّاء أحـيتْ أملي

يمتلي بيـتي سناءً وسنا

هلك البـيت الذي لا يمتلي

لو تراءى الفـقـر إنسـانًا لما

مـات إلاّ في زوايا منزلي

أعـشق العـيش ولكن عـمـلاً

قـاتل الله رغـيف الكسلِ!

(٢١٣)

يا رفــيق الدرب خــذها حكمــةً

مِنْ فم الدهر وضعها في ضميرِكْ

آفــة النعـــمــة أن ترفــســهــا

مـدّ رجليك على قـدر حـصـيـركْ

دعـــة العــيش ســراب كــاذبٌ

فـاتعظْ واحـسب حـسابًا لمصـيـركْ

كم غنـيٍّ كنتَ ترجـــو رفـــده

صـار يرضى بقليلٍ من كـثـيـركْ

إنما الدنيــا ســـعــيـــرٌ وندىً

فــتــزوّدْ من نداها لـســعـيـركْ

(٢١٤)

قـــاتـل الله زمـــانًا زجنـي

حـمـلاً مـسـتـضـعـفًا بين ذئابِ

كلمـا اسـتـغـفلتُ نابًا ضـاريًا

أوقـعـتني غـفلة البـال بنابِ

لم أكن لولا ضـمـيـري لقـمـةً

لقـــويٍّ ومـــتـــاعًا لمرابي

جفَّ قـبل الحين زيتي ، ليـتني

ذقتُ شـيـئًا من لذاذات الشـبـابِ

إن يك العـمـر كـتـابًا فـأنا

لم أعـالج غـيـر عنوان الكتـابِ

(٢١٥)

هجـــر الناسَ وقـــد أبرمـــه

مـــا يعـــاني بينهم من جلبَهْ

واصطفى بين الدراري مـــرتعًا

نـثـــر الله عـليـــــه ذهبَهْ

ومـضى عـــام فـــحنّتْ نفـــســه

لليـــالي أنســـه المصطخـــبَهْ

فـهـمَتْ من مـقلتـيـه دمـعـةٌ

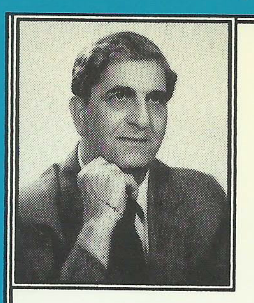
ظنّهـــا تطفي فـــزادت لهـــبَهْ

عـــبـــثًا يخنق شكواه فـــلا

يعـــشق الإنســـانُ إلاّ ملعـــبَهْ

تم فسح هذا الديوان من المديريةالعامة للمطبوعات برقم

٨٢٢٤ /م وتاريخ ٢٥ /١١/ ١٤١٠ هـ



* الشاعر بقلمه *

- ولدت في الارجنتين عام ١٩١٦ لابوين سوريين .
- في السابعة من عمري سافرت مع الاسرة الى سوريا حيث اقمت في يبرود نحو ست سنوات .
- تلقيت مبادئ العربية في مدرستها الابتدائية .
- عدت الى الارجنتين عام ١٩٢٩ حيث لا ازال اقيم . ثم زرت الوطن الام في مناسبتين .
- ثقافتي عربية اكتسبتها من مطالعاتي ، و بخاصة ادب المهجر وبعض ادب عهد النهضة
- تزوجت في مطلع ١٩٥٠ من فتاة عربية الاصل ورزقنا الله ولداً سميناه عمر . اسم قرينتي وردة .
- عندي مجموعات شعرية ونثرية ، بعضها نشر وبعضها الآخر لا ادري ماذا سيكون مصيره .
- شاعراي المفضلان : شوقي وابو ماضي